العيش في الحقيقة

مقالات في الفكر والثقافة

د. سعود هلال الحربي

العبيكان
Obeikan

obeikandl.com

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحربي، سعود هلال

العيش في الحقيقة./ سعود هلال الحربي .- الرياض، ١٤٢٩هـ.

٢٠٤ ص؛ ١٤× ٢١ سم.

ردمك: ٩ - ٤٢٢ - ٥٤ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

١ ـ المقالات العربية   أ ـ العنوان

ديوي ٠٨١   ٩٠٢ / ١٤٢٩

رقم الإيداع: ٩٠٢ / ١٤٢٩

ردمك: ٩ - ٤٢٢ - ٥٤ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان Obeikan للنشر

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء إلى

إلى روح والدي الذي بعد رحيله

أصبحت إنسانا آخر وأصبح الحزن شيئا آخر

فبالرغم من الغياب والرحيل أشعر بروحه معي

وتتساقط لذكراه أدمعي رحمه الله ...

وأسكنه فسيح جناته

سعود .....

obeikandl.com

obeikandl.com

الفهرس

المقالة	الصفحة
المقدمة	11
في ذكرى الرحيل	13
للحزن صورة أخرى	17
عطاء بلا حدود	19
الإنسان الجديد	21
الإبداع والمرض النفسي	25
صمت السنين	27
الساخر والظريف	29
في الهوية والانتماء	33
على ضفاف المتنبي	37
من قضايا المرأة	41
السعادة والزمن	45
آغا خان	47
من رسمك تعرف شخصيتك	51
من راقب الناس	53
الليبرالية فلسفيا	55
كامي وفلسفة الأمل	59
لا تقلق	61

obeikandl.com

يساري أنت أم يميني 63
المفكر في حياتنا 65
مسؤولية الإعلام الأخلاقية 69
زينب فواز 71
الجهل وألم الهجرة 73
سيكولوجية الشارع العربي 75
بين المعتصم وجميل 79
رفقا بنا أيها الشعراء 81
ثقافة الخضوع والانهيار 83
ملك العرب غير المتوج 85
التطرف الوطني 87
من قتل شهرزاد 91
أوهام النخبة 93
السجينة 97
حدائق الملك 101
الغريبة 103
هل سقط بدوي 107
رحم الله الهويدي 111
شيكاجو 113
أوهام تحقيق الذات 117
الكتابة بين الحب والتوقف 121

obeikandl.com

من يبث الفرح في القلوب 125
أفغانستان رحلة عذاب 127
الدور الكبير للصحافة 129
اليانصيب 131
عصر السرعة القاتل 133
معسكر الأرامل 135
الأنثى مصباح الكون 137
الانتحار السياسي 139
الكتابة تحت المطر والرصاص 141
الوثائق البريطانية 143
نحن والسرعة 145
أدب الرفض 147
من يعي نفسه 149
المتدلي 151
مالرو وعصر القلق 153
الإعلام بين العام والخاص 155
مسؤولية المثقفين 157
اعترافات قناع 159
وصلنا متأخرين 163
المناطق المحرمة 165
رحلة فكر 169

obeikandl.com

اختفاء المعنى الإنساني 171
الأدب نبض الحياة 173
الهروب من الماضي 175
الإنسان وضغوط الخارج 177
الإنسان المتروك 179
سحر الكتابة 181
ثقافة الديمقراطية 183
العيش في الظلال 185
حرية الكتابة والتعبير 187
الإحساس بالزمن 189
زمن ليسنكو 191
الآميش 193
الأقارب 195
ثقافة الموت 197
عالم متوتر 199
تجاهيل وتهميش 203

obeikandl.com

مقدمة

لماذا العيش في الحقيقة؟

في رواية (كائن لا تحتمل خفته) ينقل كاتبها (ميلان كونديرا) عبارة لكافكا على لسان أحد شخصيات الرواية يصرخ بها ومردداً «العيش في الحقيقة»، العبارة بليغة جدا ومعبرة بشكل رائع عن أشياء كثيرة، ويُذهب بتأويلها في أكثر من اتجاه، فيقصد بها بطل الرواية (فرانز) أن يعيش حياته العامة والخاصة بشخصية ومنطق واحد، لأنه تعب من العيش بعالمين مختلفين.

في هذا الكتاب حاولت أن أعيش في الحقيقة من خلال مقالات كتبتها خلال سنوات مضت، بعد أن نقحت بعضها لتتوافق مع الظروف، رغم تقديري أن لكل مقالة موقفاً فرضها، ولا يمكن فصله قسرا عن سياقه، ولكن غاية الكتاب ومتعة القارئ دعتني لذلك.

لا أريد أن أطيل في المقدمة..... لأنني أقدم كتابا منوعا وسأترك للقارئ اكتشاف ما به دون تدخل مني، وكلي أمل أن يحقق لقارئه متعة ومعرفة وثقافة، كما أنه من الكتب التي لا تحتاج مقدمة طويلة لأنني أتصور أنه رحلة للقارئ في فكر كاتبه.

obeikandl.com

obeikandl.com

في ذكرى الرحيل

«أمام زحف الزمان، كل شيء يتلاشى إلا الكلمة تبقى لأنها الأقوى والأقدر على الديمومة» كتبت هذه العبارة منذ سنوات وأنا مؤمن بها ومدرك لعمقها، ولأنها ارتبطت بمقالتي عنك يا والدي، واليوم وبعد مرور سنوات على رحيلك، أشعر برعشة نفسية غريبة كلما تذكرت يوم رحيلك، لأن ذكراك لم تغب عني حتى أتذكرها، لذلك لا أجد تعبيراً أجمل من قول الهذلي:

وأني لتعروني لذكراك هزة

كما انتفض العصفور بلله القطر

ويالها من رعشة يا والدي وذكراك هي المحرك والمهيج لشجوني، وهل هناك أجمل منها لأنها ترتبط بك وتستمد حقيقتها منك، حتى وإن جعلتني أتقوقع في عمق ذاتي أبحث عنك.

آآه يا والدي... أشعر برغبة بالكتابة عنك وعن نفسي، لا لأستعطف أو أحرك براكين ذاتي، ولكنها مشاعري الإنسانية يا والدي تحركني، أريد أن أكتب أنا (سعود) بكينونتي الخالصة مجرداً من كل شيء سوى حبي لك وإحساسي بالفراغ العاطفي الكبير بعدك، أريد أن أحزن لا رغبة في ذلك أو هروباً وقنوطاً من الواقع فحاشا لله أن أكون من القانطين، ولكنها الرغبة في التوحد مع ذكراك العطرة، ولا أريد أن أجعل من ذكراك مناحة ومآتم، فعقيدتي أقوى وخوفي من الله

أكبر، ولكنها فرصة أجدد لك العهد والوعد حتى وإن كان جسدك في التراب فأنت معي تسكن أعماقي محافظاً عليها من مخالب النسيان التي هزمتها وكسرتها؛ لأنك أكبر وأقوى من النسيان، ولأنك أنت معرف بذاتك لا نكرة أو ظلاً زائلاً.

والله يا والدي لم تغب عن حياتي بالرغم من رحيلك، لأنني أراك في نفسي كما كنت ترى نفسك في، وأنظر لك في صورتي وأحس بصدى صوتك في أعماقي، وإن شغلتني الحياة زارني طيفك في الأحلام التي كل ليلة أتمنى فيها أن أراك في الحلم، وأصبحت بذلك سيد أحلامي كما كنت سيد حياتي.

آه يا والدي كل شيء في حياتي وحياتك يفتقدك، بيتك والشوارع التي كنت تقطعها، حتى الأشعار والأمثال الجميلة تفتقدك، فكلما مررت بدرب قد قطعته أجد ذكرياتك به، وكأن تلك الأماكن تشاركني حزني وألمي، ولي ولها الحق في ذلك لأن الراحل والغائب الحاضر أنت.

ما أصعب الحاجة للحنان بصورة سرمدية عندما يختزل في شخص واحد، وأي شخص، إنه أنت يا والدي، فبعد غياب شمسك لم تعد الأماني كبيرة ولم تعد الحياة جميلة إن لم تكن أليمة، فالشمس باهتة وكما قال البدر (كل شمس ما لها وجهك ظلال) وكل صور دونك أطياف وأشباح، وحدك أنت كنت الحقيقة الثابتة وكل صورة غيرك متغيرة آنية.

عندما حصلت على الدرجة العلمية كمٌ شعرت بالألم لأنها فرحة مبتورة، كنت أتمنى أن أضعها بين يديك، لأنك من صنعها بتربيتك لحاملها، آآآه يا والدي واليوم ليتك موجود حتى وإن وضعتها تحت قدميك، فكل فرحة بعد رحيلك فرحة يتيمة؟؟ جميعا إلى آخر العمر، فأنت العمر وروعته وجماله، وأنت كل شيء يمكن أن أعده شيئا في حياتي، وكل حزن على شخص أو شيء غيرك لا يعادل بعضا من حزني عليك ويكفيني أنني ابنك وهذا شرف عظيم بالنسبة لي فلا درجة ولا مكانة ولا وظيفة تعادل شرف حملي لاسمك.

رحمك الله ياوالدي وغفر لك، فمهما كتبت فالكتابة لا تفيك حقك، ومهما حزنت وتألمت وذرفت الدموع فإن هذا لا يعادل شيئاً ولا يعبر عن شيء تجاهك، لأنك كنت في حياتي كل شيء.

جريدة الوطن، العدد 11173، الجمعة، 2/3/2007

obeikandl.com

obeikandl.com

للحزن صورة أخرى

عندما كتبت مقالتي (في ذكرى الرحيل) تلقيت العديد من ردود الأفعال، سواء عن طريق الاتصال أو البريد الإلكتروني أو الرسائل القصيرة أم وغيرها، وكلها تعبر بمجملها عن تعاطف كبير وتأثر بالغ، وهذا يرجع لثقل الحزن بها ولمسها لشيء في الإنسان نفسه، لذلك تجد من تعاطف معك لشخصك أو أنها وسيلة لا شعورية للتعبير عن شيء ما في ذات الإنسان، فأحد الزملاء قال لي: بكيت كثيرا ولا أعرف من أين أتيت بتلك الدموع، وآخر قال: لا تحزن فنحزن معك ولا تكتب فتبكينا.

ما جعلني أعود للحديث عن هذه المقالة هو أنني أنظر للحزن من زاويتين.

الأولى: أن الحزن في الكتابة والألم النفسي وإن كان خبرة ذاتية تخص كاتبها، إلا أنها حق مشاع للآخرين إذا صيغت بشكل أدبي جميل، وهذا ديدن الأدب بأنواعه كافة، فالمواقف ذاتية ولكن التعبير عام ويمس شغاف القلوب أحيانا، فالخنساء بكت صخراً وقالت شعراً لازلنا نردده، وكذلك رثى أبو ذؤيب الهذلي ابنه فصاغ أجمل الأبيات، وابن الرومي بكى ولده محمداً فأبدع، وجرير رثى زوجته فترك أثراً شعرياً رائعاً، ومالك بن الريب رثى نفسه فشاركناه رثاءه، وكذلك فعل التهامي برثاء ولده والمازني بابنته، وهناك الكثير مما يذكر في هذا الجانب، مما يؤكد على أن خبرة الحزن شخصية ذات طابع فردي

ولكن أثرها كبير في الإنسانية، وكم من شخص ظهر إبداعه بسبب الحزن منذ أن خلق الله الإنسان، فهسيود اليوناني أحزنه ظلم أخيه فسطر تاريخاً شعرياً كبيراً منذ القدم، فذهب هو وأخوه وبقي شعره.

المسألة الثانية: أن الحزن جزء من حياة الإنسان التي تتمدد وتتقلص بخبرات الحزن والفرح فمن منا لم يحزن أو لم يفرح يوماً ما، لذلك يقول الفيلسوف الألماني نيتشه (الإنسان أعظم الكائنات شعورا بالألم، ولذلك اخترع الضحك)، والضحك خاصة إنسانية محضة؛ بل إن هنري برجسون يقول (لا مضحك إلا ما هو إنساني) ومقابل هذا الضحك حزن يرتبط بوجود الإنسان، وهنا يمكن القول إننا كلنا نحزن ولكننا نختلف في تعبيرنا عن هذا الحزن.

وإذا كنا نقر بوجود الحزن لطبيعة الحياة ونفس الإنسان، فلا بد وأن نتلمس جوانب أخرى في الحزن أهمها أنه يجعلنا نشعر بإنسانيتنا المطلقة ولين جوانبنا العاطفية، ويجعلنا كذلك نتوقف ونتأمل في أعماقنا وما حولنا، ونعيد حساباتنا ونشعر بقيمة الحياة والإنسان، وهذا ليس دعوة للحزن ولكن فقط إشارة له، لأن الإفراط بالحزن شيء لا يستقيم مع مفهوم الصحة النفسية وقدرة الإنسان على التوافق مع نفسه والآخرين، وهناك العديد من وسائل التخلص من الحزن من أشهرها في تاريخنا الأدبي رسالة الكندي في دفع الأحزان (وقد تشرفت بشرحها منذ فترة طويلة) وغيرها من الأعمال أو الآثار المكتوبة.

جريدة الوطن، العدد 1189، الأحد 18/3/2007

obeikandi.com

عطاء بلا حدود

الدكتور محمود مصطفى قمبر رحمه الله، علم من أعلام التربية العربية في الوطن العربي، وتاريخه حافل بالعطاء، حيث بدأ التدريس في الكويت مطلع ستينيات القرن العشرين ثم عاد إلى القاهرة، ليبدأ رحلته إلى فرنسا ليعود من جامعة السربون حاصلاً على الماجستير والدكتواره، ليمر بأكثر من جامعة كالقاهرة وقطر وسيراليون والسودان والأردن، عدا الأبحاث العلمية الرصينة والمؤلفات القيمة والإشراف على العديد من رسائل الدكتوراه والماجستير، وعلاوة على ذلك كان متواضعاً حنوناً هادئاً عالماً ومفكراً، شرفت بأن أكون أحد طلابه، وقبل ذلك كنت من قرائه، وعندما أتشرف بزيارته أجده إما يكتب وإما يقرأ وإما يحاور، بالرغم من كبر سنه وضعف سمعه، ومع ذلك كان حريصا كل الحرص على التعلم.

وفي آخر لقاء معه، وجدته يجهز لإصدار أربعة كتب، ويعد لكتاب ضخم يتناول تاريخ الفكر التربوي الإسلامي، وهذا يحتاج إلى جهد كبير، لأنه رحمه الله ليس ناقلاً سلبياً، بل كان مؤلفاً ومحللاً وناقداً ومضيفاً، وكان يوصيني دائماً بالقراءة والكتابة، توفي رحمه الله في حادث سير أليم في القاهرة في شهر مايو 2006، غفر الله له وأسكنه فسيح جناته.

openkandil.com

برهس فرديريك سكينر (1904 - 1990) عالم نفس أمريكي شهير، ورائد بارز من رواد المدرسة السلوكية التي تركز على أثر العوامل البيئية في السلوك الإنساني، وكان ميله للأدب واضحاً منذ الصغر، وهذا ما جعله يتخصص في الأدب الإنكليزي، ليواصل كتاباته الأدبية والثقافية في المجلات، وكان يأمل أن يتجه للرواية بشكل أكبر، ويكمل ما بدأه في مجالها ولكن ظروفه الأسرية القهرية حولت اتجاهه إلى علم النفس، ليحصل على الماجستير عام 1930 والدكتوراه عام 1931، من جامعة هارفارد، ليبزغ نجمه في علم النفس ويصل إلى مكانة مرموقة، ولم يتوقف عطاؤه حتى آخر لحظة من عمره، حيث تذكر المصادر أنه ألقى خطاباً رائعاً مرتجلاً دون أخطاء وكأنه يقرأ من ورقة مكتوبة، في المؤتمر السنوي لجمعية علم النفس الأمريكية في العاشر من أغسطس عام 1990، بل إنه في ليلة وفاته كان يعمل ويعد ويقرأ ولكن المرض أنهى رحلة حياته.

صورتان قدمتهما دليل على أن المفكر الحقيقي لا يتوقف مهما كانت الظروف، وتشعر بأنه نهر متدفق علما ومعرفة وإنتاجاً، وكل دقيقة من عمره لها قيمة وحساب، لذلك تجدهم بعلمهم باقين وإن رحلوا.

جريدة الوطن، العدد 11073، الأربعاء 2006/11/ 22

Obeikandi.com

الإنسان الجديد

إريك فروم (1900 ـ 1979) رائد من رواد التحليل النفسي، ولد في ألمانيا ودرس فيها، ثم غادرها عام 1934 بسبب الحكم النازي لينطلق هناك في إبداعاته، التي أعطت البعد الاجتماعي والاقتصادي دوراً مهما في تشكيل اللاشعور مخالفاً بذلك فرويد الذي ركز على الجوانب الغريزية، أهم ما جاء به فروم هو البحث عن كينونة (وجود) الإنسان مقابل مشكلة التملك وانصهار الإنسان وذوبان قيمه في عصر الآلة، يقول عنه عبد المنعم حنفي في موسوعة أعلام علم النفس ص 237 «وتنهض سيكولوجية فروم أساساً على فكرة أن الحياة الحديثة فقدت الكثير من معناها، لأن الناس ضحوا بأنفسهم من أجل آلة واستعبدتهم هذه الآلة وجهاز الدولة، ويجب علينا لذلك، أن نعمل وأن نتآخى ونتواد ونتواصل ونتراحم على أسس إنسانية» الجميل في طرح فروم إشراقات الأمل الإنسانية المتجلية بين سطوره، كذلك تأكيده على قوة الدفع الذاتي لدى الإنسان من أجل تحقيق السعادة والراحة والشعور بقيمة الوجود، ففي كتابه (الإنسان بين الجوهر والمظهر) والذي صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عام 1989 من ضمن سلسلة عالم المعرفة، وقد ترجمه سعد زهران؛ يطرح رؤية جديدة حول فكرة الإنسان الجديد الذي يجب أن يكون في هذا العصر المضطرب، ومن هذه الرؤية اجتزأت النقاط الآتية (181 ـ 182):

1ـ الإحساس بالأمان وتكامل الشخصية والثقة القائمة كلها على الإيمان بكينونته (وجوده) وبحاجته إلى الانتماء والشغف والحب والتكامل مع العالم المحيط به.

2ـ القبول بحقيقة أن لا شيء خارج الإنسان ذاته، ولا أحد آخر غير الإنسان ذاته يستطيع أن يعطي الحياة معنى.

3ـ الحضور الكامل حيث يوجد الإنسان ويكون.

4ـ الفرحة التي تغمر الإنسان حين يعطي ويشارك، وليس حين يستغل أو يكنز .

5ـ محبة الحياة واحترامها في كل مظاهرها وتجلياتها، وذلك في ضوء اليقين بأن لا قداسة للأشياء.

6ـ محاولة الحد من الشراهة والكراهية والأوهام بقدر الإمكان.

7ـ الحياة بغير الأصنام والأوهام.

8ـ تنمية قدرة الإنسان على الحب.

9ـ نبذ عشق الذات «النرجسية».

10ـ اعتبار النضج الكامل للذات وللجماعة هو الهدف الأسمى للحياة.

11ـ تنمية خيال الإنسان ليكون وسيله للهروب من الظروف غير المحتملة وإنما كاستشراف للإمكانات الواقية في لمستقبل.

obeikandl.com

12ـ عدم خداع الآخرين.

13ـ الحرية ليس بمعنى الاختيار التحكمي وإنما بمعنى إمكانية أن يكون الإنسان تحقيقا لذاته.

14ـ معرفة أن الشر والنزوع للتدمير ليسا إلا نتيجة الإخفاق في اختيار سبيل النمو والنضج.

15ـ معرفة أنه لا يحقق الكمال في بلوغ هذه الصفات إلا القلة القليلة، ومع ذلك لا يجب الاستسلام لإحساس بطموح جامح لبلوغ الهدف، حيث إن مثل هذا الطموح ليس إلا شكلا من أشكال الشراهة وشهوة التملك.

16ـ تحقيق السعادة خلال التنمية المستمرة لحيوية الإنسان؛ بغض النظر عن المستوى المقدر للإنسان أن يصل إليه.

هذه الأفكار أو الرؤى كتبها فروم قبل ما يقارب من ثلاثين سنة، في ظل الحرب الباردة والصراعات المتأججة في أكثر من مكان، في الوقت الذي كانت فيه أوربا أهدأ، لأنه عاش في أواخر أيامه في سويسرا وتوفي فيها، وكأنه يناهض الكثير من المفاهيم الشائعة اليوم ويتنبأ بها ولاسيما طغيان الآلة والتجارة والتملك وما فرضته ثقافة السوق والاقتصاد العالمي.

جريدة الوطن، العدد 11102، الخميس 21/12/2006

obeikandl.com

obeikandl.com

الإبداع والمرض النفسي

الإبداع أو الإتيان بشيء غير مألوف غاية كل إنسان بل وكل مجتمع ينشد التقدم، والإبداع هنا لا نحدده في مجال واحد فقط، ولكن في شتى المجالات سواء العلمية أم الأدبية، ولكن هل هناك علاقة بين الإبداع والمرض النفسي بحسب المهن أو مجالات الإبداع، للإجابة عن هذا السؤال عملت دراسات طريفة حول موضوع الإبداع، ذكرها الدكتور ماجد موريس إبراهيم في كتابه (سيكولوجيا القهر والإبداع) حيث نقل دراسة عملت حول 1005 أشخاص من الفترة 1960 ـ 1990 بحسب الأسماء المنشورة في الموسوعات الأمريكية والبريطانية، كان السؤال المهم من ضمن الأسئلة: هل يتعرض المبدعون للأمراض العقلية أكثر من غيرهم؟

من النتائج التي أظهرتها الدراسة أن أصحاب المهن الإبداعية أكثر تعرضاً للأمراض النفسية من غيرهم، وبينت الدراسة أن تعاطي الكحوليات عند المبدعين 32، 6% و12، 02% عند غير المبدعين، والاكتئاب عند المبدعين 41، 2% بينما غيرهم 18، 8%، ونوبات الهوس 8، 8% عند المبدعين و2، 8% عند غيرهم، والذهان عند المبدعين 6، 8% وغيرهم 2، 8% والانتحار عند المبدعين 7، 6% وعند غيرهم 2، 8%.

بالنسبة لنوع المشكلات والمعاناة، كان أكثر الذين يتعرضون لإدمان الكحوليات الشعراء والروائيون والنقاد والمسرحيون والعازفون والرسامون، أما الاكتئاب فيزداد عند الشعراء والروائيين والنقاد والرسامين، والذهان يزداد عن الشعراء، والرسامين الأكثر قلقاً، والانتحار يزداد عند الشعراء والمسرحيين.

من الطريف أيضاً أن أكثر الشخصيات ثباتاً وبعداً عن الأمراض النفسية هم الموظفون العموميون والعسكريون وعلماء الاجتماع والطبيعة ورجال الأعمال.

المهم في هذه الدراسة النتائج التي ظهرت، والتي مفادها أن الفنون الإبداعية يتعرض أصحابها للأمراض العقلية أكثر من غيرهم، وكذلك تأكيد العلاقة بين الإبداع والمرض النفسي، الشيء الذي يمكن أن يقف عليه المهتمون في مجال الإبداع، إن الباحث قدم رأياً جاداً يقول من خلاله إن مجال الإبداع يستقطب من لديهم القابلية للخلل العقلي والنفسي، كذلك إن مجال الإبداع والضغوط التي تقع على المبدع توقعه في الأمراض النفسية، وهذا يتطلب تنقية الأجواء الإبداعية وتقديم الحلول للمشكلات التي قد يعاني منها المبدعون.

جريدة الوطن، العدد 10535، الخميس 2/6/2005

obeikandl.com

صمت السنين

يقول شاعر داغستان الكبير رسول حمزاتوف (1923 - 2003) (الإنسان يحتاج إلى سنتين حتى يتكلم، وإلى ستين سنة حتى يسكت) ودعانا عالم النفس الشهير إريك فروم أن نصغي للذات قبل الآخر، لأن الإصغاء فن يتوقف عليه كثير من سلوك الإنسان.

في واقعنا اليوم ثرثرة وضجيج متواصل، فالحياة متسارعة والإنسان يجري خلف قطار العمر الذي يتوقف عند محطات كثيرة ليكون الرحيل بعيدا عن الحياة وقطارها، وبين الأمل في العيش والاستمرارية وبين الضجيج المتواصل نبحث عن الراحة والصمت الذي أصبحنا نفتقده كثيرا في حياتنا.

أصبحنا وبسبب هذا الضجيج نشعر بقلق الحياة والوجود، لدرجة أننا كدنا نشكك في غاية وجودنا ذاته، حتى أحلامنا وأمانينا غدت آنية وليدة اللحظة التي تذوب فيها بعد لحظة أخرى، وكأن عقولنا وقلوبنا ضاقت ولا يمكنها أن تستوعب تلك الأحلام.

ولكن وبالرغم من كل ذلك أشعر بأن هناك صمتاً ما، صمتاً موجوداً بين ضجيج وثرثرة الحياة، ضدان متلازمان، يصيباننا بالرعب، ونشعر به في لحظة تأمل، إنه صمت السنين الماضية، أو كل لحظة زمن فائت، فبالأمس كانت الذكريات واهتزاز مشاعرنا تعبر أجمل تعبير عن تواصلنا مع الحياة ومكوناتها، وتمدنا بمشاعر الشوق

والحنين لكل لحظات العمر الأجمل، نختزلها ونخزنها في ذاكرتنا، ونستدعيها إن لم تقفز إلى بؤرة الشعور، واليوم أصبحت الذكريات أشبه بأطياف أحلام بالكاد تمر بذاكرتنا، وهذا هو الصمت القاتل عندما تنفصل سنوات العمر عن بعضها، ونعيش كل لحظة ثم تنصهر كأنها لم تكن.

إن الإنسان بحاجة دائمة لحنين وذكريات السنين، لا للتوقف والتباكي والحنين الساكن، ولكن من أجل التأمل والتذكر والانطلاق إلى لحظات عمر جديدة، لتكون دافعاً لحب الحياة وغرس الأمل في النفوس، وبذلك لا نجعل السنين تصمت، ونفقد إحساسنا الجميل بالوجود والحياة بالرغم من قتامة الأجواء والتسارع والأنين والضجيج الذي نجده من حولنا.

جريدة الوطن، العدد 11169، الاثنين 26/2/2007

obeikandl.com

الساخر والظريف

الكتابة الساخرة تعد من أصعب الكتابات، سواء في المجال الأدبي بأشكاله كافة (مسرحية ـ رواية ـ شعر...) أم في المجال الإعلامي ككتابة المقالة، والساخرة هنا نقصد بها تناول قضية معينة أو عدة قضايا بأسلوب طريف وناقد وقد يكون واضحاً وصريحاً أو قد يكون مستتراً وضمنياً.

في المجال الإعلامي كان عبد الله النديم صاحب توجه في هذا المجال، وقد أصدر مجلة التبكيت والتنكيت، وكذلك أحمد رجب ومحمود السعدني وغيرهم كثير، في أدبنا العربي أيضا كانت هناك كوكبة تقود هذا الأسلوب وتبدع فيه، مثل الجاحظ وأحمد فارس الشدياق ومارون عبود الذي يقول عنه بطرس البستاني (يضفي مارون عبود في نقده فن النكتة وسخرية تجعله في حلاوته وأسلوبه فريداً من نوعه). وفي الأدب العالمي يأتي برنارد شو وفولتير ونقولاي غوغول وعزيز نيسين في مقدمة رواد الأدب الساخر.

ومن الشخصيات التي ارتبط اسمها بالظرف الشاعر محمد بن سليمان التلمساني (1289 - 1263) الذي يطلق عليه الشاب الظريف، وله شعر رقيق جميل يقول في بعضه:

لي من هواك بعيده وقريبه

ولك الجمال بديعه وغريبه

إن لم تكن عـــيني فـــإنك نورها

أو لم تكن قلبي فـأنت حـبـيـبـه

هل حـــرمـــة أو رحـــمـــة لمتـيم

قـد قل فـيك نصـيـره ونصـيـبـه

وله تشبيه ظريف آخر :

وبين الخـــد والشـــفـــتين خـــال

كـــزنجي أتى روضـــا صـــبـــاحـــا

تحـــيـــر في الرياض وليس يدري

أيجني الورد أم يجني الأقـــاحـــا

في كتابه الظرفاء يتناول محمود السعدني شخصيات أدبية كانت لها جوانب ظريفة وساخرة في شعرها وأدبها ونكتها مثل إبراهيم حافظ وإبراهيم ناجي وكامل الشناوي وعبدالعزيز البشري وعبدالله النديم وإمام العبد، فعلى سبيل المثال ذكر السعدني أن عبدالعزيز البشري صادف رجلاً في الطريق وطلب منه أن يقرأ رسالة كان يحملها، وكان الخط رديئاً جداً، فاعتذر البشري، فقال الرجل: أمال لابس عمة ليه؟ فقام البشري ووضع عمته على رأس الرجل وصاح: طيب لما الحكاية حكاية عمة اقرأ أنت الجواب. ويذكر أيضاً أن إمام العبد وكان أسود اللون، اشتهر بأزجاله وطرائفه، والتي منها أنه كان يكتب رسالة لصديق له فسقطت نقطة حبر سوداء على الأرض من قلمه فقال: يا خبر أسود الواحد بقي يعرق كثير اليومين دول.

obeikandl.com

لا يتسع المجال هنا للوقوف على ماهية الشخصية الساخرة من زاوية سيكولوجية، ودراسة العوامل التي شكلت هذه الشخصية، ولكن لا بد من الإقرار بأن الشخصية الساخرة لدى بعض الكّتاب صهرتها ظروف موضوعية تتعلق بالعوامل المحيطة به، أو ذاتية تتعلق بشخصيته كالعاهات أو البدانة أو القصر أو الضغوط نفسية، وقد حاول أحد هؤلاء الساخرين الوقوف على هذا الأسلوب وأعني به الأديب التركي الشهير عزيز نيسين، في مذكراته التي ترجمت للعربية بشكل سيئ جدا، حيث أرجع سخريته لظروف كان يعاني منها في صغره، مما جعله يتعرض للسخرية والإيذاء من الآخرين، لذلك كانت السخرية ردة فعل مضاد، وأيضاً حاول أن يفسر شخصية الإنسان الساخر، يقول في مذكراته الجزء الثاني والتي عنوانها «وهكذا سرنا» (السخرية ستار لشخصية الفاشلين، وغطاء سري للفشل ولاسيما لدى الفتيان الذين يخرجون هازئين ساخرين لا يعجبهم العجب، ليس هذا سوى نوع من الدفاع عن النفس وغطاء لفشلهم) ص (189)، قد لا نوافقه كثيراً في هذا الرأي ولكنه يأتي من أديب من عمالقة الأدب الساخر.

وأياً كانت الرؤية حول الأسلوب الساخر، يبقى أسلوباً محبباً وصعباً في الوقت نفسه، وليس كل كاتب أو أديب مهما علت هامته بقادر على أن يكتب به، لأنها قدرة خاصة وطاقة كبيرة تعتمد على شخصية ذات أبعاد معينة، ومن الخطأ جداً الكتابة بهذا الأسلوب لمن لا يملكه لأنه سيصبح ثقيلاً جدا وغير مقبول من الآخرين.

جريدة الوطن، العدد 11004، الخميس 14/9/2006

obeikandi.com

obeikandl.com

في الهوية والانتماء

سعيد عقل شاعر لبناني شهير في منتصف التسعينيات من عمره الآن، لأنه ولد عام 1912، وبذلك عاش خبرات حياتية طويلة، بالإضافة للشعر له آراء كثيرة في اللاهوت وحقيقة المسيح عليه السلام الإنسانية والإلهية، وصدرت له دواوين كثيرة بدأها عام 1935، وقد كان للناقد اللبناني مارون عبود ولاسيما ديوانه رندلي الذي صدر عام 1950 ملاحظات حول شعره.

سعيد عقل بالرغم من أنه اشتهر بالشعر العربي لكنه يعيش أزمة هوية مع العربية، لأنه يدعو للفينيقية بشكل سافر، بل ويدافع وينظر كثيرا في هذا المجال، ولسان حاله دائما لبنان ليس عربيا، وبذلك فهو ينادي بنزع وانسلاخ لبنان من هويته العربية.

وقد واجه سعيد عقل النقد الشديد بسبب آرائه الفينيقية لأنه يخالف الواقع والمنطق، ويتكلم عن فترة سحيقة منفصلة تماما عن لبنان اليوم، من الذين نقدوا رأيه الفينيقي السياسي اللبناني مصطفى الزين، ففي كتابه خواطر في الأدب والسياسة، ذكر مقالة له كانت بعنوان (رسالة إلى سعيد عقل) نشرها في جريدة السفير عام 1996، تعليقاً على ندوة أقامها سعيد عقل، يقول الزين مخاطباً (فإذا كنت لا تزال مصراً على أن لبنان اليوم هو امتداد للبنان فينيقيا وأن اللبنانيين الحاليين العائشين أو المتعايشين فوق أرضه هم أحفاد قدموس وزينون

الرواقي فإنني أسألك: كيف يكون شعباً فينيقياً الحسب والنسب بينما هو مجموعة أخلاط من بقايا التتر والعرب والبيزنطيين والفرنجة والأكراد والأرمن والشركس والسريان والكلدان والأقباط والأتراك والمماليك.... فإلى متى يستمر هذا اللهاث وراء الأساطير والترهات المغايرة للواقع والمناقضة لحقائق التاريخ.... قل لي بربك من هم هؤلاء الفينيقيون الذين تفخر بهم وتصر على أننا متحدرون من صلبهم..... تجار وصيارفة محتالون... هل أثر يوماً عن هذا الشعب أنهم كانوا أهل شعر وأدب ؟ وهل تحفظ أنت بيتا واحدا من الشعر قاله شاعر فينيقي أو هل قرأت يوماً نصاً أدبياً لأحد منهم؟..... إننا بحكم موقعنا الجغرافي ومصالحنا الحيوية ولغتنا ننتمي إلى محيطنا العربي، واللغة هنا عامل مهم وإن لم تكن العامل الأهم. .... لماذا كل هذا التعظيم والإشادة بشعب منقرض منذ آلاف السنين ولا تربطنا به أية رابطة عرق أو نسب «أقصد الفينيقيين» والتجاهل والإعراض عن الإشادة بشعب حي من لحم ودم أنت منه).

المقالة طويلة ولكني اقتبست قدر الاستطاعة، والأهم من هذا كله الفهم الصحيح للانتماء، فالإشادة والتغني بشعوب وثقافات مغايرة لمحيطنا الثقافي العربي أعتقد لا يختلف كثيرا عما قاله الزين، فالعروبة ومحيطها الجغرافي واقع معاش وحياتي وواقعي، والانتماء يكون وفق هذا المحيط وهذه الروابط، أما التقليل من هذا الشأن والبحث في مجاهل الكتب والأساطير عن ماض سحيق يعد انفصالاً عن الواقع، ومن ثم تهميشاً للهوية الإنسانية وجعلها في حالة صراع

دائم، وبحث عبثي عن عالم آخر، وهذا يتطلب بالطبع الوعي التام في الهوية الوطنية والانتماء والنأي بالنفس عن متاهات الهويات الأخرى المخالفة لنا في المصالح والآمال، والتي يعد الانتماء السياسي والحزبي والإيديولوجي أحد أهم ركائز هذه الاتجاهات.

جريدة الوطن، 10988، الثلاثاء 29/8/2006

obeikandl.com

obeikandl.com

على ضفاف المتنبي

كنت وأنا طالب دائماً أسمع معلمي اللغة العربية يشيدون بالمتنبي، بل قال بعضهم إنه معجزة الشعر العربي، وأتذكر حينها شعوري بأن هذا الكلام مبالغ فيه، وما الإعجاز في شعر يقوله الكثيرون، ولكن عندما تأملت شعر المتنبي بعد سنوات الدراسة وجدت نفسي أكاد أوافقهم بأنه معجزة حقاً، لذلك جعلت عنوان المقالة على ضفاف المتنبي تشبيهاً ببحره العميق وما يحويه من جميل الكلام، وأيضا الهجاء اللاذع.

وحتى أكون أميناً فيما أكتب فأنا متذوق للشعر والأدب العربي لا متخصصاً فيه، ولكنني أيضاً أؤمن بمقولة «كل عربي شاعر بالفطرة»، ولدي وجهة نظر دائما أقولها، وهي أن الأمم ترتقي بالأدب الرفيع الذي يحيي القلوب.

والمتنبي بحر كما قلت به ما به من الشعر الرائع والحكم والقوة في المعنى والكلمات، ولو تتبعنا بعض الأمثال العربية نجدها تعود لشعره مثل (خير جليس في الزمان كتاب) (إذا أنت أكرمت الكريم) (الرأي قبل شجاعة الشجعان) (تجري الرياح بما لا تشتهي السفن) وغيرها الكثير.

أيضاً ما يميز شعره الحكم والأمثال والتشبيهات الغزيرة مثل:

obeikandl.com

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

أو قوله :

الرأي قبل شجاعة الشجعان

هو أول وهي المحل الثاني

أو قوله :

كل حلم أتى بغير اقتدار

حجة لاجئ إليها اللئام

ولا يتوقف شعره عند هذه الجوانب ولكن نكتشف أن له نظرات في النفس الإنسانية مثل قوله :

من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرح بميت إيلام

أو قوله :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

وصدق ما يعتاده من توهم

وعاد محبيه بقول عداته

وأصبح في ليل من الشك مظلم

obeikandl.com

ما أحوجنا اليوم للأدب الرفيع والشعر الجميل القوي، وكنت دائما ولا زلت أعيب على مناهجنا وإعلامنا الذي لا يهتم بالأدب والشعر والثقافة العربية، ظناً أن عصر العلم لا يتطلب ذلك، متناسين تماما أن النهضة الأوروبية قامت على الفكر والأدب اللذين حرثا الأرض وأمدا العلم بالأفكار والتطور، كما أن الأدب يساعد على تفتح العقول ويهذب النفوس، ويزرع القيم، ولكن مع الأسف أصبحنا لا ندرك هذا الشيء المهم، وانعكس ذلك على ناشئتنا وثقافتهم، وكم أحزن عندما أقرأ عن بعض المتحدثين بأنهم لا يحبون القراءة في اللغة العربية، وكأنها أصبحت معيبة كبرى، فاللغة أساس مهم من أسس تكوين وترابط الشعوب، وهي الوعاء الفكري الذي يحوي الأفكار، ولننظر إلى اليهود الذين أحيوا لغتهم وفرضوها، وساعدت على جمع أشتاتهم رغم تعدد الثقافات واللغات التي أتوا منها، كذلك يشير المفكر القومي ساطع الحصري (1880 ـ 1970) في كتابه محاضرات في نشوء الفكرة القومية، إلى أن الشعب البلغاري كان يتكلم اليونانية، وفي عام 1835 قام شخص يدعى تئوفيت ريلسكي فأسس مدرسة جديدة أحيا من خلالها اللغة البلغارية، حيث قام بتدوين قواعدها وآدابها، ثم تلته مدارس أخرى لتكون نواة تحرر بلغاريا، فهل تكون لغتنا وسيلة من وسائل تحررنا ووحدتنا ؟

جريدة الوطن، العدد 10995، الثلاثاء 5/9/2006

obeikandl.com

obeikandl.com

من قضايا المرأة

من القضايا التي لا أحب الكتابة عنها إلا في أضيق الحدود قضايا المرأة على وجه التخصيص، لأن كل ما أكتبه بشكل عام يتناول المجتمع والإنسان وبذلك فالمرأة حاضرة بصورة كاملة فيما أكتب، كذلك فإن هناك زملاء ما شاء الله تبارك الله عليهم جندوا أنفسهم للكتابة عن المرأة في كل شاردة وواردة، بل فاقوا قاسم أمين وباحثة البادية (ملك حفني) في تناولهم لقضايا المرأة.

من الطبيعي أن تختلف قضايا المرأة من مجتمع لآخر، ومن فكر لآخر، وهذه مسألة لا جدال فيها، ولكن المشكلة دائما تتعلق بواقعية الحديث عن القضايا وأهميتها وعلاقتها بالوسط الاجتماعي، وهل القضية تعد من أساسيات المرأة أم من الجوانب الكمالية؟ لو تأملنا بعض القضايا التي تناولت المرأة لدى بعض الكتّاب والمهتمين نجد البون شاسعا بين جديتها وواقعيتها وبين كونها مجرد آراء ضيقة لا طائل منها، على سبيل المثال في أمريكا اللاتينية قادت مجموعة من النسوة في يوم من الأيام حركة البحث عن الأولاد المسجونين والمختطفين من قبل الأنظمة الدكتاتورية، وقدن المظاهرات والمطالبات والاحتجاجات بالرغم من كل الصعاب، وقد جسدت هذه الحركة والمعاناة الأرجنتينية (هبه دي بونافيني) في كتابها أمٌ ضد الديكتاتورية، والذي صورت فيه معاناة الأمهات خلال فترة

السبعينيات حتى الثمانينيات من القرن الماضي في رحلة البحث المضني عن الأولاد، ولم تكن قضيتها فقط ولكن كانت قضية المرأة الأرجنتينية بشكل عام، والتي كانت بواقعها ضد الاستبداد والقمع.

في المغرب العربي قضايا المرأة أصبحت حاضرة بشكل كبير ومختلفة، وقد تكون كتب فاطمة المرنيسي شاهداً على ذلك مثل (العابرة مكسورة الجناح ـ هل أنتم محصنون ضد الحريم ـ نساء على أجنحة الحلم.....) وقد تناولت قضايا تخص المرأة بشكل متداخل، وهناك من ركز على قضايا بعينها مثل فاطمة الزهراء أزويل في كتابها البغاء أو الجسد المستباح، وكانت القضية خطيرة وصريحة وجريئة، لأنها تتناول البغاء في المغرب من خلال بحث مسحي وهدفت كما تقول (الكشف عن أبعاد المعاناة الإنسانية، التي تختفي وراء واجهة قد تكون براقة) ص (6).

وهناك أيضاً من تناولت قضايا المرأة من خلال الأعمال الكتابية الروائية مثل الجزائرية مليكة المقدم في أعمالها (المهاجرون الأبديون ـ المتمردة ـ رجالي) حيث عبرت عن الثورة التي تطالب بها المرأة على موقعها ونظرة المجتمع لها ومصادرة حقها ووجودها، وإن كانت النظرة مؤلمة وردة الفعل أكثر إيلاما.

في تونس كانت قضايا المرأة مختلفة تماما، بل كانت الجرأة في المطالب والطرح شديدة، ومبالغ بها حتى كانت في بعضها خروج عن روح الدين، مثل رفض تعدد الزوجات ومن بيده حق الطلاق، إلى أن

كانت القضية التي تقودها جماعات نسائية تطالب بالمساواة بين المرأة والرجل فيما يتعلق بالميراث مخالفة بالطبع لشريعة الإسلامية وكانت خديجة الشريف المتحدثة الدائمة بهذه القضية، بل إنها تطرفت ورفضت النص القرآني الخاص بأن للرجل مثل حظ الأنثيين، وقالت: إنه خارج إطار الزمن الحالي.

كذلك نجد أن منظمات حقوق الإنسان أولت قضايا المرأة أهمية قصوى، وركزت على كل ما جاء في الاتفاقيات الخاصة بحقوق الإنسان، من خلال ميثاق الأمم المتحدة 1948 التي تنص مواده على احترام حقوق الإنسان دون تمييز، أو العهدين الدوليين 1966 اللذين ركزا على قضايا الحقوق السياسية والمدنية من جهة وعلى الحقوق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى، وقد كان مجمل القضايا الخاصة بالمرأة تتعلق بالعنف والاضطهاد والحقوق السياسية والاجتماعية بشكل عام.

في الكويت وخلال عقود متواصلة كانت الحقوق السياسية الحاضر الأكبر في قضايا المرأة، إلى أن تحققت وأصبحت جزءاً من نضال وحديث المرأة، وبالرغم من الاختلافات حول هذه القضية إلا أنها تبقى واقعية ولها ما يبررها.

ما تم ذكره ما هي إلا أمثلة سريعة ومقتضبة حول قضايا المرأة، وليست دراسة تحليلية بالمعنى الحرفي والعلمي للكلمة، لأن قضايا المرأة كثيرة ومتعددة في دو ل العالم كافة، وإن كان الأهم دائما

الجوانب المتعلقة بكرامة المرأة وإنسانيتها، بعيدا عن القضايا الترفيهية أو التي تمثل فئة دون أخرى أو تعكس فكراً خاصاً لا يمكن الأخذ به ومن ثم تعميمه وطرحه كأولويات وطنية.

جريدة الوطن، العدد 10989، الأربعاء 30/8/2006

obeikandl.com

السعادة والزمن

في عام 1940 كتب الأديب اللبناني الراحل توفيق يوسف عواد، مقالة ذكر فيها موقفاً غريباً وطريفاً، حيث يشير إلى أنه تم إصدار حكم الإعدام بشخص يدعى إسماعيل الحريري، وعندما هم بالنزول من العربة متوجها إلى حبل المشنقة كان الجو ماطراً، فطلب مظلية تقيه المطر، فعلق عليه شخص آخر يدعى فهد دحدح (شو خايف من الرشح)، وتم تلبية طلبه.

غريب هذا الموقف فرجل بينه وبين الموت دقائق قليلة جداً، ومع ذلك يريد أن يستفيد من المتبقي من زمنه، ليؤكد حقه في هذا الزمن، أما تعليق زميله فله أيضا وجهان: الأول النظرة الساخرة لعبثية الزمن كما يراها، والثاني الواقعية الصريحة وكأنه يقول (هل يضر الشاة سلخها بعد ذبحها).

ما يهمنا هنا الشعور بالسعادة وكيف نفرط بالزمن المحدود لنا، وكأننا مخلدون، فهناك من يضيعه في أعمال لا طائل منها، وهناك من يحارب وجوده وزمنه بالتشاؤم والسوداوية، ولا يتوقف عند هذا الحد بل يفرضه على غيره وبذلك يفسد عليهم وعلى نفسه متعة الحياة، وعندما تقف على حقيقة ما بهم قد لا يتعدى ذلك ظنونا متراكمة وإحباطات متداخلة، ولكنهم يصرون على نشر ما بهم.

وأتذكر في هذا السياق كلمات قالها الفيلسوف والشاعر الألماني غوته (1749 ـ 1832) في روايته أو سيرته الذاتية المستترة (آلام فارتر) والتي ترجمها الأديب الراحل الكبير أحمد حسن الزيات رحمه الله (1885 - 1968) صاحب مجلة الرسالة، ترجمة رائعة وبأسلوب أدبي رفيع، يقول غوته «ما حزنت نفسي لشيء حزنها لأولئك الذين لا ينفكون متألمين ولاسيما إذا كانوا في ربيع العمر و مقتبل الشبيبة، حين تكون صدورهم مشروحة وقلوبهم مفتوحة لمسرات الحياة وملذات العيش، ويكدرون صفو أيامهم الجميلة القليلة بانقباض النفس وتقطب الوجه، ثم يدركون بعد أن قضي الأمر أنهم فرطوا في خير لن يرجع وبذروا في ثروة لن تعود».

هي دعوة جميلة وصريحة للتمتع بالحياة، والنظر إليها من زوايا الأمل المريح، والدوافع المحفزة للعيش الرغد الجميل، وليست هذه مثالية متعالية عن الواقع، ولكن العمر وقصره والحياة وطولها يتطلب منا ذلك، فالحياة لن يوقفها حزن يلم بنا أو أمل ضاع منا، كما أنه ليس من حقنا التفريط والتنكيد بمشاعرنا وأحاسيس الآخرين.

جريدة الوطن، العدد 10987، الإثنين 28/8/2006

آغا خان

للمذكرات وقع على النفس جميل، وهذا يحدث عندما تصاغ بعفوية ولغة جمالية ودون تكلف، لذلك تختلف المذكرات في طريقة تدوينها من شخص لآخر، ومن مجال لآخر، فمثلا عندما نقرأ مذكرات تربوي وشيخ علم حتماً نجدها رصينة وبها نوع من التكلف وقد تأتي جافة أحيانا، وعندما تقرأ لأديب بارع تجد عباراته أكثر مرونة ورشاقة إن جاز التعبير، أما السياسيون فتجد مذكراتهم في الغالب تبريراً لأعمال قاموا بها أو أفكاراً تبنوها، منها ما نجح وما تحقق ومنها ما أخفق.

أما المذكرات التي هي عنوان هذه المقالة، فإنها للسلطان محمد شاه الحسيني، الإمام الثامن والأربعين لفرقة الإسماعيلية، وهي مذكرات صدرت لأول مرة عام 1959 ولأخطاء كما يذكر المترجم الحالي سيف الدين القصير أعيدت ترجمتها، لتصدر الترجمة العربية الثانية 2006.

ولد السلطان في الهند عام 1877 وتوفي عام 1955، وقد وصل إلى منصبه الديني بحكم الوراثة عن طريق جده الذي هاجر من فارس واستقر في الهند، ومذكراته حافلة بأحداث وأسماء كثيرة ولاشك أنه شاهد عيان كما أنه دقيق في مذكراته، من الناحية السياسية من الصعب الحكم عليها، لأنها تقوم على علاقات متشابكة مع بريطانيا

تحديدا ودول أخرى، لعب دور الوسيط فيها، خصوصا تركيا التي كما قال حاول تجنيبها الكوارث قبل سقوطها، ولكنه لم يفلح لتسرع الأتراك، وهناك العديد من الأفكار والآراء السياسية التي كما أسلفت من الصعب الحكم عليها الآن.

وقد وردت بعض العبارات والأفكار التي تستحق الوقوف لغرابتها أو طرافتها أو نوعيتها، فمثلاً عندما تكلم عن تربيته الأولى هاجم بشدة التطرف المذهبي الذي كان يعلمه أحد المشائخ، وعاب على معلمه تطرفه وهجومه حتى على بعض الصحابة والقتال بينهم فيقول مثلاً (إنما وجدت جوابي في دعائي البسيط أن يغفر الله بواسع رحمته ذنوب المسلمين جميعاً القاتل والمقتول، وأن يتصالح الجميع في الجنة في وفاق كلي نهائي) ص (50) ولا شك أن هذه النظرة جعلته كما يكمل في مذكراته أكثر انفتاحاً على الثقافات الأخرى، ولاسيما أنه يجيد لغات عدة منها العربية والفارسة والفرنسية والإنكليزية، بل إن حياته تشبعت بالفنون الغربية فقد كان عاشقاً للمسرح والباليه ومحباً لفنون الرسم والتصوير، حتى زوجته الثانية كانت راقصة باليه تعرف عليها بعد عرض خاص ثم تزوجها في مصر وفق الشريعة الإسلامية كما يقول، ليكمل حياته وفق هذا النمط الثقافي.

من الطرائف التي ذكرها موقف شاه إيران مظفر الدين الذي التقاه في باريس عام 1900، وقد وصفه بأنه رجل عليل ضعيف وجاهل إلى درجة هائلة وأبله حزين كالطفل، ويذكر أنه سمع بمسيو ومدام كوري وباكتشافهما الراديوم، وطلب أن يرى الاختراع، وعندما

تمت الموافقة وذهبا إلى أحد الفنادق وتم تعتيم القاعة حتى لا ينفذها أي نور، دخل الشاه وحاشيته، ثم قام مسيو ومدام كوري وأخرجا الراديوم الذي أنار القاعة ففزع الشاه وأصابه الذعر وأخذ يركض ويتهمهما بمحاولة اغتياله.

في الإشارات السياسية والتي زخرت بها المذكرات، إشارتان توقفت عندهما:

الأولى: قال إنه كتب ونادى يطالب بالتعقل في مواجهة الحروب والأزمات، فعلى سبيل المثال: كان يقول كنا نطالب تركيا بالصمود والقتال (إنا ندعو الأتراك إلى الصمود والقتال والموت حتى آخر قرش وآخر تركي، بينما نظل نحن على قيد الحياة، ليست دعوة منصفة بل ظالمة للأتراك.... لكننا نحن من أرسلَ البرقية كنا نذهب بعد ذلك إلى بيوتنا وننام مطمئنين في أسرتنا) ص (209).

الإشارة الثانية: عندما يتكلم عن المقامرات السياسية التي تقود للحروب والمشاكلات يقول فيها (والمقامرون في النهاية لا يربحون، ويبين التاريخ أن المقامرين السياسيين حظهم في النجاح ضئيل كالمقامرين في الكازينو أو سباق الخيل) ص (226).

هاتان الإشارتان بيت القصيد في هذه المقالة، فالدعوات والمقامرات مهما كان حجمها لا بد وأن تعود كما كانت، وإن حدث خلل فخطرهما أكبر كثيرا مما يتصور بعض الأفراد، والكتابة والتحليل في شيء يختلف حتما عن الواقع العملي.

جريدة الوطن، العدد 1098، الإثنين 21/8/2006

obeikandl.com

obeikandl.com

من رسمك تعرف شخصيتك

يحـاول علمـاء النفس دائمـا البـحث عن كل دلالة من دلالات السلوك الإنسـان (الظاهر منه أو البـاطن) من أجل الوقـوف على حقيقة هذا السلوك ومحاولة تفسيره، حتى يتم تعديله إن أمكن أو الوصـول عن طريقـه لما يحـويه العـقل البـاطن من أفكار تظهـر على شكل إسقاطات متعددة.

وقد تنوعت الدراسات في شتى مجالات السلوك الإنساني، ومنها بالطبع الظريف والنادر ومنها الصعب، من الدراسات المشوقة دراسة سيكولوجيـة قـام بهـا الدكـتور عـادل كـمـال خـضـر بعنوان (الدلالات النفسـيـة لرسم أعـضـاء جسم الإنسـان) وقـد نشـرها في مـجلة علم النفس التي تصدر في القاهرة في عددها رقم 62 عام 2002.

من الإشارات السيكولوجية لرسم أعضاء جسم الإنسان الآتي:

1ـ **الرأس:** رسم الرأس بشكل كبـيـر يدل على العدوانـيـة وتضـخم الأنا وارتفاع التحصيل والتخيل والإبداع، أما رسم الرأس بشكل صـغـيـر وبطـريقـة مـبـالغـة فـإن ذلك يدل على مـشـاعـر النقص وضعف الأنا وعدم الكفاية العقلية، أو الشعور الشديد بالخجل.

2ـ **ملامح الوجه:** إذا كانت مـلامح الوجه كالأنف والعـينين والفم آخـر مـا يرسم فإن ذلك يدل على النزعـة إلى إنكار مـستقـبـلات المثيرات الخارجية أو تأجيل تمييز الشخص قدر الإمكان، كذلك

تشير الدراسات أن الأسوياء عند رسمهم لملامح الوجه فإنهم يبرزون جوانب السعادة وعكس ذلك لدى العصابيين، وإهمال ملامح الوجه يدل على خوف الإنسان من العلاقات الاجتماعية، أما الجبناء فيرسمون ملامح وجه غامضة، أما حذف ملامح الوجه فإنها تدل على المراوغة والسطحية واهتمام غير كاف بالبيئة، أما التأكيد على رسم الفم يرى بعضهم أنه يدل على العدوانية اللفظية، أما إهمال رسم الفم والتعبير عنه بخط واحد فإن ذلك يدل على الاكتئاب، وحذف الفم يدل على عدوانية فمية وصعوبة أو عدم الرغبة في التواصل.

3ـ **العيون:** رسم العيون بشكل كبير يثير إلى الشك والحساسية المفرطة تجاه العادات الاجتماعية، أما صغر رسم العيون فهذا يدل على الانطوائية والاستغراق في الذات، وحذف العيون قد يدل على هلوسات بصرية.

4ـ **الأذن:** كبرهما يشير إلى الحساسية من النقد أو هلوسات سمعية.

هذه بعض جوانب الدراسة، لأن الدراسة شملت جميع أعضاء جسم الإنسان، وإن كنا نتحفظ على بعض التفسيرات أو الدلالات التي تشير إليها الدراسة.

جريدة الوطن، العدد 10188، الأربعاء 16/6/2004

من راقب الناس

بشار بن برد شاعر معروف وله قصائد جميلة، ونوادر يتناقلها الرواة تتأرجح بعضها بين الواقع والخيال، وله في وصف الليل بيت جميل إذ يقول:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم

ونفى عني الكرى طيف ألم

ذات يوم كتب بيتاً يقول فيه:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته

وفاز باللذة الفاتك اللهج

فما كان من أحد تلاميذه إلا أن عارضه ببيت قال فيه:

من راقب الناس مات هما

وفاز باللذة الجسور

ونظرًا لخفة بيت تلميذه وسهولته طار في الآفاق وغطى على بيت بشار الصعب، وهذا بالطبع أغضبه كثيراً، بل إنه خاصم تلميذه ولم يرض عنه إلا بعد توسلات منه وبتدخل بعض الفضلاء في ذلك الزمان.

الشاهد من هذين البيتين حديثهما عن مراقبة الناس، وإشغال النفس بما لا يعنيها بل بما يتعبها أحيانا، وهذه والله ظاهرة موجودة

opeikandi.com

لدينا بكثرة، فما إن يتم ملاحظة شيء معين، أو لباس ارتداه إنسان أو كلمة قالها أحد ما، إلا أصبحت تهكماً يتناقله الآخرون دون إحساس بحرج أو تقدير لشعور الناس.

فعندنا إن لبست شيئاً مخالفاً لذوقهم ضحكوا عليك، وإن قلت لفظة معينة نبذوك بها، لذا أصبح شاغلنا الشاغل إما البحث عن نواقص الآخرين في أشكالهم وأزيائهم، وإما التفكير في كيفية تجنب مثل هذه المواقف المحرجة، بل إن بعضهم أصبح يلقنها حتى أبنائه، ويرددونها عليه وكأنه يختبرهم في أمر ما، متناسين تعاليم ديننا الحنيف عن هذا السلوك، وهذه آفة كبيرة يجب أن تنتهي من حياتنا.

جريدة الوطن، العدد10176، الجمعة 4/6/2004

obeikandl.com

الليبرالية فلسفياً

كتب الدكتور فؤاد زكريا مقالا بعنوان (الليبرالية... رؤية فلسفية) في مجلة الديمقراطية في عددها العاشر ربيع (2003) تناول من خلاله الليبرالية من حيث النشأة والعوامل التي ساعدت على بروزها، ومن ثم أسباب تعثرها في المجتمع العربي.

بداية يؤكد زكريا أن الليبرالية مفهوم فكري برز في العصر الحديث، وأنه لا يمكن تصور وجودها إلا في هذا الإطار، أي أنها وليدة ظروفه، علماً بأن هناك من تلمس جذور الليبرالية في صورة أبعد مما تصوره زكريا، مثل ما ذكره الدكتور ياسر قنصوه في كتابه (الليبرالية إشكالية المفهوم) حيث بحث عن الفردية والحرية وهما جوهر الليبرالية في كتابات القدماء وأقوالهم مثل السفسطائيين وعلى رأسهم بروتوجوراس، وإن كانت هذه وجهة نظر قابلة للرفض والقبول.

بعد ذلك يسرد زكريا العوامل التي ساعدت على ظهورها في أوروبا ومن تلك العوامل:

1ـ حركة مارتن لوثر التي أدت لظهور المذهب البروتستانتي، الذي أكد على فردية الإنسان من خلال اتصاله بخالقه دون اللجوء للكنسية.

openkandil.com

2ـ في الجانبين الاقتصادي والاجتماعي أدى انحسار النظام الاقطاعي إلى بروز الليبرالية التي دللت على أهمية الفرد وأن مكانته تترتب على ما يقوم به من عمل، وليس حسب انتمائه الأسري أو الاقطاعي.

3ـ أفول نجم أرسطو حيث سادت تعاليمه عصوراً طويلة وجثمت أفكاره على العقل الإنساني.

4ـ اختراع الطباعة الذي ساعد على انتشار الثقافة.

5ـ حركة الكشوف الجغرافية وما صاحبها من اكتشاف للعالم الجديد توسع لآفق الفرد.

لماذا لم تستقبل الثقافة العربية الليبرالية رغم حاجتها لها؟ هذا السؤال طرحه زكريا وأجاب عنه بالنقاط الآتية:

1ـ نشأت الليبرالية في الغرب وارتبطت بالتوسع والسيطرة على أسواق العالم، وبذلك ارتبطت أيضا بمفهوم الاستعمار، وقد عد زكريا هذه الفكرة من آفات الفكر العربي الذي يهتم بالأصل والشكل وليس المضمون.

2ـ أن ظروف البحث عن التحرر والاستقلال جعلت من الليبرالية قضية ليست بمستوى القضايا الكبرى، مما جعلهم أحيانا يرفعون شعار (الخبز قبل الحرية).

obeikandl.com

3ـ تأثير الفكر الماركسي في الثقافة العربية.

هذه خلاصة فكرة مقال الدكتور فؤاد زكريا عن الليبرالية من زاوية فلسفية، وإن كنا لا نجادله في بداية الليبرالية ودور الفلاسفة الكبار مثل (جون لوك ـ جون استيوارت ميل) وغيرهم، إلا أن هناك ثمة تساؤلات ملحة وهي :

1ـ لماذا نجحت الليبرالية في الغرب وفشلت إن جاز لنا التعبير في الواقع العربي، شأنها هنا شأن الديمقراطية وغيرها من المفاهيم الأخرى، وهذا يجعلنا نتساءل مرة أخرى هل نقل الأفكار من بنى معرفية إلى بنى أخرى تخالفها يضمن نجاح النقل؟، فهل نجاحها في الغرب بكل ظروفه الفكرية والاجتماعية والثقافية والنفسية، يضمن نجاحها في الثقافة العربية؟ سؤال يصعب الإجابة عنه دون تحليل لواقع الثقافة العربية، وليس معنى هذا أننا نرفض نقل الأفكار والمخترعات والتكنولوجيا، ولكن الليبرالية لها جانب سياسي قد تخالف بطبيعتها أنظمة الحكم التي تحتضن الثقافة العربية، هذا عدا الخصائص النفسية والفكرية والاجتماعية والجانب الفردي والحرية التي قد لا تجد مساحة كبيرة في الثقافة العربية.

2ـ تطابق الفكر مع السلوك والفعل معيار حقيقي لمعرفة مدى تمثل الإنسان لما يحمله من فكر، فهل من رفع شعار الليبرالية كان فعلاً يؤمن بالحرية والفردية دون التأثر بثقافته ورؤاه السياسية

والاجتماعية ؟ أنا هنا أشك إن كان من رفع هذا الشعار صادقاً حقاً، وهذه المشكلة لا تقف عند الليبرالية فقط، ولكن كل ما يرتبط بالتفكير، إذ لم تكن جهود الطبقة المثقفة بالمستوى المطلوب، فالكل يعلم أن الطبقة البرجوازية كان لها دور كبير في تطور وتقدم أوروبا، ولكن في عالمنا العربي واجهت الثقافة العربية مآس كثيرة من فعل بعض أفراد الطبقة المثقفة، بل إن بعضهم ساعد على تثبيت القيم السلبية ودعم الأنظمة القمعية مسوغاً لكل فعل مخالف للواقع، والحوادث التي مرت بالمنطقة العربية تؤكد على هذه الحقيقة.

باعتقادي أن هاتين النقطتين كان يجب أن يتناولهما الدكتور فؤاد زكريا، لأنه تكلم عمن خالف الليبرالية، ولم يتناول من ادعاها وأيدها، ولم يعطِ الثقافة دوراً مهماً في تأصيل بعض الأفكار وعلاقتها بالمناخ الثقافي التي نقلت إليه.

جريدة الوطن، العدد 20161، الخميس 20/5/2004

obeikandl.com

كامو وفلسفة الأمل

من أصغر الحاصلين على جائزة نوبل للسلام الفيلسوف الفرنسي ألبير كامو، حيث حصل عليها عام 1957 م، وإن كان العمر لم يطل به ليتمتع بجائزته بعد طفولة فقيرة بائسة، ولد في الجزائر عام 1913م من أب فرنسي ووالدة إسبانية.

هذا الفيلسوف عاش طفولة وفقراً متقعاً، ثم مرض بداء السل بعد نزلة برد شديدة، وكان له دور كبير أثناء احتلال ألمانيا لفرنسا، وكانت من هواياته كرة القدم بالإضافة للمطالعة، ومن طريف ما يروى عنه، أنه كان يحب الكتابة في الفنادق وهو واقفٌ، وقد توفي في حادث سير عام 1960م، ويعلق عبدالرحمن بدوي على موته (مات ميتة لا معقولة ذلك الذي رأى أن كل ما في الوجود لا معقول وإن لم ينقطع رجاؤه في الإنسان، مات ميتة استسلام مَنْ نادى دائما بالتمرد والثورة والمقاومة).

المحزن بعد موته أن والدته بكته بصورة غير مباشرة بداية الأمر، حيث فقدت سمعها في أواخر عمرها، وذات يوم وبعد وفاته دخل عليها أخوها الذي كان فاقداً للسمع والنطق، متجهما ثم انطلق يبكي بحرقة وبحسرة، ففزعت من منظره، وبكت لبكائه معتقدة أنه يبكي لأمر خاص به، ولكنه كان يبكي كامي، لتزداد حياتها شقاء بعد شقاء، مثيرة شفقة الجيران ومن عرفها.

من أشهر ما كتب كامي (الغريب، الطاعون، أسطورة سيزيف، العادلون، كاليغولا) وقد صاغ رؤاه في الوجود والإنسان والمصير والقلق في تلك الأعمال وغيرها من أعماله الأخرى، وعلى الرغم من البعد الوجودي القلق والمضطرب في كتاباته إلا أنه يتلمس الأمل، بل يبحث عنه، رغم بعض الصور المعتمة في كتاباته، ومن أجمل العبارات التي قالها (إنني أرفض اليأس حتى لو ضاع الأمل)، وقد توقفت طويلا عند هذه العبارة لجمالها وعمقها وقدرتها على تحريك العزيمة، خصوصا في عصر قلق يثير في النفس الخوف والحزن، لما نراه من ضياع للأحلام، وقتل لجوانب إنسانية مشرقة، بل أصبح القلق أصعب من ذي قبل لأن هناك قوى بعيدة تتحكم بكل شيء، في عصر أصبحت ثقافة الإرهاب والقتل العبثي تجد من يسوغ لها ويبررها ويشجعها والأخطر من ذلك من ينفذها، ولكن الأمل ذلك الإحساس الذي يدفعنا للحياة ويجعلنا في كل يوم نترقب غدا أجمل، وننتظر شروق شمس حياة هادئة هانئة حتى وإن تلبدت السماء بغيوم الضياع والخوف والقلق.

جريدة الوطن، العدد 10159، الثلاثاء 18/5/2004

obeikandi.com

لا تقلق

اهتم عالم النفس الشهير سيغموند فرويد (1856 ـ1939) بالجوانب اللاشعورية للإنسان، ورأي وإن كانت في أعماق النفس الإنسانية، إلا أنها تمثل محركا أساسيا لسلوكه، وفي ضوء ذلك رأى أن النفس الإنسانية تتشكل وفق الهو وهي مكمن الغرائز والرغبات لدى الإنسان، ثم الأنا وهي الجزء الشعوري والواعي من النفس، ثم الأنا الأعلى والتي تمثل الضمير والدين والمجتمع وكل ما من شأنه أن يشكل مرجعا أخلاقيا للإنسان، وبين أنه من المحتمل أن تسيطر على شخصية الإنسان إحدى تلك القوى، فمثلا الشخص الذي تسيطر عليه الهو شخص لا يبحث إلا عن إشباع غرائزه ويكون أقرب للحالات البهيمية، أما الشخص الذي تسيطر عليه الأنا فهو واقعي واستطاع أن يشبع رغباته وفق ما يمليه عليه الأنا الأعلى، ومن تسيطر عليه الأنا الأعلى يكون أقرب للمثالية.

عندما تناول فرويد القلق لدى الإنسان وجد أنه لا يخرج عن ثلاث حالات هي **القلق الواقعي**: وهو قلق معروف السبب، أي أن هناك شيئاً مدركاً ومعلوماً يهدد حياة الإنسان، لذلك فهو واقعي لما قد يعرض حياته أو ذاته للخطر وهذا يجعله يبحث عن سبل كفيلة لمواجهته.

النوع الثاني من القلق هو **القلق العصابي**: ويحدث هذا القلق عندما يشعر الإنسان بأن هناك تهديدا للهو والرغبات المكبوتة في أعماق نفسه، وقلقه هنا يحدث نتيجة خوفه من الوقوع في خطأ

يعاقب عليه القانون أو الأعراف، أما القلق الثالث فهو خلق أخلاقي، ويحدث نتيجة لقيام الإنسان بفعل يعاقب عليه الأنا الأعلى، أي الضمير أو الدين، وسماه أخلاقي لأن مرجعيته هي الأخلاق العامة.

بعيدا عن نظرة فرويد والتي قد يكون بها الكثير من الصحة، نجد أن عصرنا الحالي هو عصر القلق والتوتر النفسي، فالإنسان محاط بكثير من الأشياء التي تقلقه وفي الوقت نفسه يحمل في ذاته دوافعاً وأماني ورغبات لحالة القلق، زاد على ذلك كله النظرة المريبة للمستقبل، والخوف منه بصورة شكلت لدى البعض عقدة، وبذلك نجد الإنسان محاصرا بكثير من مسببات القلق.

ولكن هناك اختلاف بين نظرتنا نحن للقلق، فمنا من هو واقعي ويعرف لماذا يقلق وكيف يتخلص منه، وهناك من يبالغ بشكل كبير في قلقه لذلك نجده دائم التوتر والتيقظ وكثير الارتباك وكأنه يسابق الزمن، مما يشكل إزعاجا لنفسه وللمحيطين به، وقد يرجع هذا لعدم نضجه انفعاليا.

ولكن نحن منحنا الله مشاعر وأفكارا ترتكز على مرجعية إيمانية، فإيماننا الكبير بالله عز وجل وثقتنا برحمته الواسعة، وأن الأمل دائما موجود وبأننا سنحقق الأفضل، كل هذا يساعدنا على التخلص من القلق أو للتعامل معه بصورة واقعية.

جريدة الوطن، العدد 10118، الأربعاء 7/4/2004

obeikandl.com

يساري أنت. . أم يميني

عزيز نسين (1915 - 1995) كاتب تركي شهير، له قصص وروايات عديدة قد تكون من أشهرها (زوبك زاده)، ومن قصصه القصيرة قصة بعنوان (يساري أنت أم يميني) يتناول فيها قصة شاب قروي لا يجيد القراءة والكتابة، يذهب لإستنبول للبحث عن عمل مستعيناً بورقة صغيرة بها عنوان من يسكنون في إستنبول من أهالي قريته، وأول دخوله المدينة الكبيرة يرى تجمعاً بشرياً يخطب بهم شخص ما، ويقوده حظه العاثر أن يضيع بين الجموع ولا يستطيع الخروج، وما هي إلا لحظات حتى يفر الجمع ويلاحقهم جمع آخر وبما أنه في الوسط هرب مع الناس، ولكنه سقط تحت أقدامهم بسبب تعبه وجوعه، لتقترب منه مجموعة تسأله هل أنت يساري، ولأول مرة يسمع بهذه الكلمة ولا يعرف ماذا تعني، ولكنه قال: أنا يساري والحمد لله، فانهالوا عليه ضرباً وركلاً بكل قسوة ولم يتركوه إلا بعد أن تظاهر بالموت، وعندما ابتعدوا عنه هرب من جديد، ليجد نفسه ملاحقا من جمع آخر، ليقتربوا منه ويسألونه يساري أنت أم يميني؟ فكر بما حل به عندما قال أنا يساري، فقال شكرا لله أنا يميني، وما هي إلا لحظات حتى رأى الموت عياناً بياناً، ليفر من جديد هاربا، ليدخل مخفراً للشرطة عله يجد الأمان، ولكن حاله في المخفر لم تكن أفضل من الشارع، فأفراد الشرطة أخذوا يسألونه هل أنت يساري، ويرد أستغفر الله، ولكن أحدهم قال: سمعتك وأنت تقول يساري، فقال: أنا

لست يسارياً أو يمينياً، وفي أثناء الضرب، دخل مسؤولهم الكبير ليحاصره بالأسئلة المبهمة، ثم يباغته بسؤاله (من هو ناظم حكمة) والمسكين لم يسمع بهذا الاسم، وخشي أن يقول لا أعرفه ومعرفته واجبة، فقال: ليحمه الله، مكانته محفوظة في قلوبنا، ليبق اسمه خالداً، رجل جيد وعظيم. لتبدأ عملية ضرب مبرح لم يصحُ منها إلا وهو في المستشفى.

هذه القصة تعبر وبشكل كبير عن واقع فكرنا السياسي المحلي، فهناك جماعة تلاحق أخرى، وهناك من يقدح بالآخر، وكلها أفكار مزيفة، لأنها انفصلت عن السلوك العملي والممارسة الواقعية، فالليبرالي والسلفي والإصلاحي، أصبحوا في العمل السياسي لا يختلفون عن بعضهم البعض، والمواطن هو ذلك القروي البسيط، الذي راح وضاعت مصالحه بسبب الغوغائية، وحالة التشرذم الفكري التي يحاول البعض فرضها علينا.

جريدة الوطن، العدد 10102، الاثنين 22/3/2004

obeikandl.com

المفكر في حياتنا

يعد الفيلسوف الألماني فريدرك نيتشه (1844 ـ 1900) حالة فلسفية متميزة، بل إن الحديث عنه لم ينقطع لما تحمله حياته من مفارقات عجيبة وغريبة، فهذا الفيلسوف الثائر والمبشر بعالم جديد (كما يقول عن نفسه) كان فكره يجسد حياته تماماً لأنه تعبير صريح وواقعي عنه، عاش حالات انتكاسات كثيرة، بدأت بفقده والده وهو في الخامسة من عمره ليعيش بين مجموعة نساء أثرن بشخصيته كثيراً، مما يجعل نظرته للمرأة مختلفة تماماً عن الواقع الذي عاشه، ثم توالت عليه الأمراض إلى أن أصيب بالجنون في آخر عقد من عمره، عدا الإحباطات الشخصية وفشل بعض مؤلفاته حين صدورها.

كتب عن نيتشه كثير من المؤلفين، وإن كانت مؤلفات كل من عبدالرحمن بدوي وفؤاد زكريا وجمال مفرج الأكثر تميزاً بين ما كتب عنه، وقد بدأ فؤاد زكريا سيرة نيتشه بقوله (شيء واحد اتفق عليه كل من كتبوا عن نيتشه وأكده هو ذاته في كتاباته، وأعني به أن فلسفته امتزجت بحياته وأصبحت تكون قطعة منها) ص (17)، كذلك يضيف نقطة مهمة جدا، وهي أن نيتشه بالرغم من انعزاله ووحدته ومشكلاته الصحية استطاع أن يعيد الحياة في أفكار قد تكون جامدة ومهملة في حياة الآخرين.

وقد عاش حياة مضطربة قلقة جعلت منه ناقداً لاذعاً لكل شيء، رافضاً الجمود ومحطماً لقيود الفكر من قيم وفلسفات، لدرجة أنه عد المرجع الأول والملهم لتيار ما بعد الحداثة في العصر الحديث، وإن كان هناك جدل كبير حول هذه النقطة، ولكن الشيء المهم في نيتشه شعوره الدائم بقيمته ونفسه وفكره، حتى أدى ذلك لظهور نوبات جنون العظمة لديه، ومن شدة إيمانه بنفسه وفكره كتب في مؤلفه هذا الإنسان يقول (أعرف قدري، سيأتي يوم سيقترن اسمي بذكرى شيء هائل رهيب، بأزمة لم يعرف لها مثيل على وجه الأرض، أعمق رجة من الوعي) ص (153).

وبالرغم من كل هذه القوة وتعدد المؤلفات التي فشل بعضها حين صدروها فتكبد من أجلها خسائر مادية ومعنوية، بقيت مؤلفاته مجهولة أو متجاهلة، بل عدها بعض المنظرين كتب جنون لا أكثر، إلى أن جاء من بعثها وأحياها، حيث يقول جمال مفرج في كتابه «نيتشه الفيلسوف الثائر» (وعلى الرغم من كل هذه المؤلفات، فقد ظل الناس يتجاهلون كتاباته حتى بدأ جورج براندز يلقي محاضرات عنها في كوبنهاغن عام 1888 وهي محاضرات اكتسب نيتشه شهرة بسببها، في الأعوام العشرة التالية ولكن دون أن يعلم بذلك، إذ كان قد أصيب بانهيار عقلي شامل) ص (16).

ما تم ذكره مجرد خطوط عامة وبسيطة عن فيلسوف له أثره، وله مكانته بالرغم من كل موجات النقد التي وجهت له بسبب تطرفه في كل شيء ومن أهمها الهجوم على المعتقدات، مما جعل قارئوه يقفون

مواقف متناقضة منقسمين بشكل كبير، وقد ذكر جمال مفرج عبارة عن لويس عوض يقول فيها (فمن الناس من يشمئز لذكره (يقصد نيتشه) أو تتحرك فيه عوامل البغض العميق، ومنهم من يمتلئ أسفا على الإنسانية الشقية التي أنجبت مثل هذا المفكر الشقي) ص (9).

وفي سيرة نيتشه وحياته أفكار تجعلنا نتوقف عندها في واقعنا اليوم، منها العلاقة بين ما نقوله ونكتبه وبين ما نعيشه وهل بذلك يتطابق القول مع العمل؟ أم أنهما منفصلان ولا رابط بينهما؟ كذلك هل نكتب من واقع حي معاش أم مجرد خيال وافتراضات زائلة وتصورات ذاتية ليس ألا؟ ولكن الأهم من هذا كله الاهتمام بالمفكر أو الكاتب ذاته ووضعه في الإطار والمكان الصحيح، لا أن ننتظر مجيء يوم نبحث عنه بين ركام الكلمات والتنظيرات، لأن آفتنا الآن حتى المفكر أصبح يحتاج لمن يعرفه ويقدمه ويدعمه عن طريق حزب أو قبيلة أو طائفة أو جماعة، وإن لم يحصل له ذلك يبقى بعيدا ومهمشا وبذلك لم يأخذ حقه ومن جانب آخر تفرض آراء قد تكون باهتة وعقيمة، ولكن يبقى دائما الفكر الجميل هو الأجمل.

جريدة الوطن، العدد 10994، الإثنين 4/9/2006

obeikandl.com

obeikandl.com

مسؤولية الإعلامي الأخلاقية

إيزابيل الليندي كاتبة تشيلية شهيرة، ولدت عام 1942م وقدمت أعمالا روائية كثيرة تُرجمت إلى لغات عدة منها بالطبع العربية، من أشهر أعمالها بيت الأرواح، وعن الحب، والظلال، وصورة عتيقة، وباولا، وابنة الحظ.

الغريب في حياة هذه الكاتبة أن الشهرة والقدرة الروائية ظهرت عند بلوغها الأربعين، وكأنها تذكرنا بشاعرنا العربي النابغة الجعدي الذي نبغ في الثلاثين، في بداية حياتها عملت في مجال الصحافة وأعدت العديد من التحقيقات التي لاقت إلى حد ما أثراً طيباً، ولكن النقطة التي كان لها أبلغ الأثر في الاتجاه نحو الرواية لقاؤها بالشاعر بابلو نيرودا عام 1973م، الذي رفض بكل دعابة أن يُجري معها لقاء صحفيا، وقال لها: أنت غير موضوعية ويبدو لي أنك تكذبين في بعض تحقيقاتك الصحفية، أو تخترعين من خيالك بعض الأفكار عندما تشح المصادر، لذلك أنصحك أن تتجهي لكتابة الرواية لأن الخيال والكذب يتحول فيها إلى فضيلة، كانت هذه الكلمات الشرارة الأولى التي التقطتها إيزابيل، لتنطلق إلى عالم الرواية بكل جماله وآفاقه الأدبية والخيالات الواسعة لتثبت نفسها من خلال أعمالها الروائية والتي لولا نصيحة هذا الشاعر لاستمرت في العمل الصحفي على شكله السابق.

بعيداً عن إيزابيل الليندي وشهرتها الروائية، ما يلفت النظر كلمة بابلو نيرودا، في عمل بعض الصحفيين للتحقيقات والتدليس والتزوير أحيانا، وهذه مشكلة لا بد من الاعتراف بها حتى نكون على قدر كبير من الموضوعية، والدليل على ذلك الضجة التي تحدث بعد نشر بعض التحقيقات أو المقابلات الصحفية، أو ما يكتب عن المشاكلات والحوادث أو حتى المعلومات التي تقدم للقارئ، لأننا نشعر أحيانا أن هناك غيابا للمسؤولية الأخلاقية الإعلامية فالكاتب أو من أعد الخبر أو عمل اللقاء لا يهتم بتلك بالجوانب والتي من أهمها مخافة الله سبحانه وتعالى، ثم لم يضع تصوراً حول الأثر الذي قد يتركه مقاله أو كتابته في القارئ من حيث التضليل والتشويش، وهذه طامة كبرى عندما لا نراعي حرمة الأشياء وخصوصيات الآخرين، لذلك ليتهم يلجؤون للرواية أفضل لهم وأفضل لخلق الله.

جريدة الوطن، العدد 40497، الإثنين، 25/4/2005

obeikandl.com

زينب فواز

هناك أسماء تظهر ثم تختفي، وهناك أسماء لا تظهر ليس لعدم أهميتها ولكن بسبب ظروف الجهل من قبل وسائل الإعلام أو الأوساط الأدبية، ولكن تشاء الصدف أن تُظهر مرة ثانية ما كانت قد أظهرته سابقاً، وقد يكون أديب لبنان والعروبة الكبير أحمد فارس الشدياق دليلا على ذلك، حيث عانى من التعتيم إلى أن أعيد له تقييمه من جديد بعد غياب الظروف الموضوعية التي كانت تحيط بحياته.

من الأسماء التي أعيدت للذاكرة بعد أن تم إسقاطها إما جهلاً وإما تعمداً، الروائية اللبنانية زينب فواز، والتي صدر لها أكثر من كتاب في الآونة الأخيرة، منها بالطبع (غادة الزاهرة) لحلمي النمنم صدر عام (2004)، والذي قدم من خلاله الرواية التي يقال إنها أول رواية عربية حيث ساد لدى معظم دارسي الأدب أن رواية زينب لمحمد حسين هيكل والتي صدرت عام 1914 تعد أول رواية عربية، وإن طرحت أسماء كثيرة ترَ غير ذلك، ولكن تبقى المسألة في حكم الاجتهادات، إلى أن كان الرأي بأن زينب فواز أول امرأة عربية تكتب الرواية العربية.

ولدت زينب فواز عام 1840م في منطقة جبل عامل في جنوب لبنان في قرية تبنين، وقد تربت في بيت آل الأسعد حيث تعلمت القراءة والكتابة، وقد أبدت الطفلة نبوغاً مبكراً ونباهة مميزة، مما ساعدها على حفظ القرآن الكريم، ثم تزوجت كبير السواس ولكن

الطلاق تم سريعاً، ثم يربطها النصيب بأديب من دمشق ثم يفشل الزواج ويتم الطلاق، لتغادر بعدها مع والدها إلى الإسكندرية، لتكمل تعليمها في علوم العربية، وقد كانت تتمتع بذكاء اجتماعي ساعدها على الاندماج في المجتمع المصري، ثم بدأت بنشر مقالاتها في بعض المطبوعات مثل النيل والمؤيد وأنيس الجليس ولسان الحال.

يرى حلمي النمنم أن كتاباتها تنطلق من ثلاث قضايا:

الأولى: قضايا المرأة في المجتمع. **والثانية**: الخرافات ومظاهر الشعوذة في المجتمع المصري، **والثالثة**: القضايا العامة الوطنية، إضافة للمقالات كانت لها بعض الإصدارات مثل (الدر المنثور في طبقات ربات الخدور) عام 1893م، كذلك كان لها نشاط اجتماعي بارز حيث شاركت في تأبين مصطفى كامل عام 1908م عن طريق إلقاء خطبة تمثل خطبة النساء.

في توجهها السياسي كانت ترفض الهيمنة الأجنبية والإصلاح الذي يأتي من الخارج وهذا ما يبرر حالة التعتيم التي مورست ضدها، إلى أن اعتزلت الكتابة والحياة لتتوفى في منزلها عام 1914م.

جريدة الوطن، العدد 40495، السبت، 23/4/2005

obeikandi.com

الجهل وألم الهجرة

ميلان كونديرا روائي تشيكي، ولد عام 1929، ولسوء الأوضاع في بلده إبان المد الشيوعي وما أعقب غزو الاتحاد السوفيتي عام 1969م من اضطهاد وملاحقة لكل من يعارض فكرهم، هاجر إلى فرنسا عام 1975م ليستقر هناك، أول رواية صدرت له المزحة عام 1967م ثم توالت رواياته مثل فالس الوداع، والحياة هي في مكان آخر، والخلود، وغراميات مرحة وكائن لا تُحتمل خفته، والبطء، والجهل، والهوية وغيرها.

في روايته الجهل يصور معاناة المهاجرين التشيك، وينقل بأسلوب سيكولوجي جميل حالات الصراع والخوف التي يعانون منها، بل إنه حتى الأحلام المرعبة أصبحت ذات بعد جماعي فكل المهاجرين يحلمون بنفس الحلم أو قريباً منه ويقول في ص 13 تعليقاً على حلم بطلة الرواية (إرنا) (فهمت إرنا أن جميع المهاجرين يملكون هذه الأحلام، جميعهم دون استثناء..... كيف يمكن أن تعاش تجربة الحلم الحميمية جماعياً؟ أين روحها الوحيدة إذن؟).

وبين هذه الأفكار والأحلام تعيش بطلة الرواية حياتها، إلى أن يكون عام 1989م وهو عام الانفراج عندما سقطت الشيوعية دون رجعة، ليشتعل صراع آخر، هو صراع العودة للوطن، الذي كانت تجهله كثيراً بعد مضي عشرين سنة على هجرتها، وهذا ما جعل كونديرا

يطلق على روايته اسم الجهل (أنت بعيدة ولا أعلم عنك شيئا وبلدي بعيد ولا أعرف عنه شيئا) هذه العبارة كانت أساس فكرة الجهل.

ولكن كيف ستكون حال أناس يعيشون آلاما متداخلة، ألم الهجرة وألم الجهل وبين تلك الآلام تصبح الآمال طائراً يحلق فوق الرؤوس ثم يغيب وهكذا، حتى فكرة العودة بعد غياب تصبح عملية إعادة ترميم للذات، وقد أبدع كونديرا في تصوير تلك المتداخلات في نفس الإنسان، والجميل أيضا في روايته، أنه يختار ويكتب عبارات مؤثرة ولها طابع الاستمرارية وقد تكون في الوقت نفسه حكماً، يقول في ص (11) مهما كانت الديكتاتورية مريعة فإنها تختفي باختفاء الدكتاتور، وهكذا يستطيع الناس أن يستمروا ولديهم أمل، على العكس من الشيوعية المدعومة بالحضارة الروسية..... الدكتاتوريون فانون وروسيا خالدة، مصيبة البلدان التي جئنا منها تقوم على الانعدام الكامل للأمل.

كنت أتمنى دائما أن أجد في ثقافتنا وأدبنا قدرة كتابية على الغوص في أعماق النفس البشرية، وسبر أغوارها، وتصوير معاناتها والخروج بأدب وفكر راقٍ، ليس كما كان يكتب كونديرا لأن لكل مجتمع وشعب معاناته الخاصة، ولكل ثقافة نقاط صراع وتعارض مع نقاط وأفكار أخرى، لعلنا نقرأ ذات يوم مثل هذا الأدب.

جريدة الوطن، العدد 10240، السبت 7/8/2004

openkanal.com

سيكولوجية الشارع العربي

في أوقات التوتر والقلق السياسي أو حتى زمن الحروب في الساحات العربية، يقفز دائما للإعلام والتنظير الشارع العربي، كعامل مهم في تحديد مسار القضايا المطروحة، وهذا بالطبع من وجهة نظر من يؤيد المظاهرات التي تنتشر هنا وهناك.

من الناحية النفسية نجد أن الإنسان وسط الحشد والتجمعات البشرية يفقد جزءا من تفكيره، ويقع تحت التأثيرات التي تصدر من حوله، وبذلك يتكون التفكير الجمعي الذي يحرك الجميع وفق مؤثرات عامة مغايرة للتفكير والشعور الفردي، وحسب مقاصد ونضج التجمع تكون ردود الأفعال وأثرها.

وعندما تحدث مشكلة في الوطن العربي والإسلامي يتذكر الساسة والمنظرون الشارع العربي ورفضه أو قبوله للقضية المطروحة، من هنا يمكن ملاحظة أن التحرك الذي يقوم به الشارع العربي دائماً موجه لقضايا خارجية بحتة تخالف وجهة نظر الدولة التي تنطلق منها المظاهرات، وبذلك ندرك تماما أنها موجهة من النظام نفسه ولا عجب أن نرى الحشود التي تحملها الحافلات لأماكن المظاهرات، هذا عدا تزييف الوعي الذي تمارسه تلك السلطات على الأفراد، وبذلك تشكلت رؤى سياسية وفكرية مشوهة، تغطيها الضبابية وينقصها التفكير السليم وتصبح مجرد أهازيج وصراخ، وهذا بالطبع على حساب

المشكلات الداخليـــة التي تقع في مـــحـــيط تلك الدول، إن لم تكن المظاهرات إشغالا للشعب وتفريغا انفعاليا لا أكثر.

الجانب الآخر في الشارع العربي وهو الأهم أنه مهمش تماما عن المشاركة السياسية وصنع القرار، بل إنه محروم من حقوقه السياسية والمدنية والاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة للمشكلات التي تتعلق بتواضع المستوى الثقافي والتعليمي، وهذا ما يجعل بعض المشاركين يدخلون لمظاهرة دون أن يدركوا مقاصدها أو عما تتحدث، ومن الطريف في هذا السياق يقال إنه في إحدى الدول العربية حصل حشد أو تجمع ما، وفي لحظة الصراخ انعقد عقال أحد المشاركين في سيارة (لوري) فصرخ أحدهم إشارة إلى ذلك (عقاله مكلب باللوري) فصرخ الجميع يردد نفس العبارة وأصبحت هي القضية التي طغت على الجمع.

أمام هذا الوضع للشارع العربي، ووفق هذه العقلية والنفسية التي تعاني من قهر وحرمان من الحقوق، أصبح أداة طيعة في أيدي الأنظمة توجهها كيف شاءت ومتى شاءت، كيف يمكن الركون إليه والاعتماد عليه، وكيف نقبل رأياً من شارع لا يملك إرادته وحريته، عدا أنه يقف أحيانا مع الباطل ضد الحق، ولا يملك مقومات التغيير والتأثير في وطنه وبجهل أو يتجاهل مشكلاته الداخلية.

إن الشـــارع الســـيـــاسي الذي يمكن الوثوق به والأخـــذ برأيه، هو

الشارع الذي يملك أفراده حرية التفكير وحرية التعبير، والذي يشارك ويقود ويؤسس مجتمعه ومستقبله ونظامه، وهو الذي يملك الوعي السياسي والوطني، ويفرق بين مصالح أفراده وبين مصلحة نظام أو تيار أو حزب منفصل، أما غير ذلك فلا طائل من الشارع بل إن أفراده قد يتحولون إلى أدوات عنف وتدمير.

جريدة الوطن، العدد 10951، الأحد 23/7/2006

obeikandl.com

obeikandl.com

بين المعتصم وجميل

العرب هي الأمة الشاعرة، لذلك يقال إن كل عربي شاعر بالفطرة، وأضيف هنا نعم إنها أيضا شاعرة بأحاسيسها ومشاعرها ومواقفها النبيلة، على الرغم مما يقال عنها من هذيان المثقفين وتحليلاتهم الوهمية للشخصية العربية، وإن كنا ندرك أنها ليست خالية من العيوب، وما زلنا نتذكر أو نقرأ المناظرة الشهيرة بين كسرى والنعمان بن المنذر عندما سخر من العرب، تلك المناظرة التي أفحم بها النعمان كسرى ومجلسه، ورحم الله أحمد فارس الشدياق عندما زار أوروبا في القرن الثامن عشر فلم تنسه حسه العربي الأصيل أمام ما هاله من علم وثقافة في لندن وباريس، فهو يقول (لما كنت دائم التفكر في خلو بلادنا عما عندهم من التمدن والبراعة والتفنن، ثم تعرض لي عوارض من السلوان بأن أهل بلادنا قد اختصوا بأخلاق حسان وكرم يغطي العيوب ويستر ما كان، ولاسيما الغيرة على الحرم وصون العرض عما يذم. فلله الحمد على بلوغ أربه وحصول مطلبه. فإن تبهية الأمصار الإسلامية أشهى إلي والله من كل أمنية، كيف لا وعن المسلمين كان أخذ التمدن والفنون في الأعصر الغابرة وكانوا قدوة في جميع المناقب والمفاخر والمحامد والمآثر)، نعم هذه أمتنا وتاريخها ولغتها الجميلة وشعرها العربي الذي قلما توجد لغة تعكس الوجدان والمشاعر كلغتنا لأنها لغة البيان، فكم قصيدة طارت بصاحبها في الآفاق وكم من قصيدة أهلكت صاحبها وكم من قصيدة أنقذت صاحبها بأمر الله تعالى.

ذات يوم حكم الخليفة المعتصم على الشاعر جميل بن تميم بالقتل، عندها ترجل جميل هذه القصيدة:

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً

يلاحظني من حيثما أتلفت

وأغلب ظني أنك اليوم قاتلي

وأي امرئ مما قضى الله يفلت

فما حزني أني أموت وإنني

لأعلم أن الموت شيء مؤقت

ولكن خلفي صبية قد تركتهم

وأكبادهم من حسرة تتفتت

كأني أراهم حين أنعى إليهم

وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا

فإن عشت عاشوا خاضعين بنعمة

أذود الردى عنهم وإن مت ماتوا

بعدها عفا عنه المعتصم.

جريدة الوطن، العدد 8544، الجمعة 26/11/1999

obeikandl.com

رفقاً بنا أيها الشعراء

عبد الحميد الرافعي (1859 - 1932) شاعر شهير كان يطلق عليه «بلبل سوريا» وكان له حضوره السياسي، منه عمله بوصفه قائم مقام في الناصرة لمدة عشرين سنة، وقد تعرض للنفي في أوائل الحرب العالمية الأولى.

كتب الرافعي قصيدة شهيرة مطلعها (سلوها لماذا غيّر السقم حالها) وقد عمت شهرتها الآفاق ورددها المنشدون، وعندما التقى الرافعي مارون عبود سأله: هل قرأت أرق منها؟ فأجابه «أرق منها لا، أما في ميوعتها فنعم»!!، فاجأبه الرافعي بامتعاض: تقول ميوعة، فرد عليه نعم وأكثر، فما قولك في من يقول (لقبلت حتى بالعيون نعالها).

هذه الحكاية كتبها مارون عبود في 1951/10/25م وعلق أن ميوعة تلك القصيدة أصبحت أفضل بكثير مما كان يسمعه ويقرؤه في تلك الفترة، وهذا ما نعانيه الآن من بعض الأشعار و القصائد في الشعر العربي الفصيح أو حتى الشعبي، فالشعر أصبح إما متاهات لا نعرف من أين يبدأ وكيف ينتهي وإما أنه غامض وفي بعض الأحيان لا يخلو من ابتذال وتصوير فيه نوع من الانتكاسة حتى لشخص قائله، والمشكلة أنه تقام الأماسي والندوات لمثل هذه الأشعار التي تبث الترهل في الثقافة، بل تمسخ معالمها لدرجة أن بعض القصائد قد لا نعرف من قائلها، أرجل هو أم امرأة؟!!.

قد ترجع الأسباب لعوامل عديدة منها غياب النقد والتحليل لكل ما نسمع، لأن الشعر لا يرتقي بدون نقد مهما كان الشاعر، والشواهد على ذلك كثيرة منها أن النقاد أخذوا على الشاعر علي بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم الذي يرجع نسبه إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قوله:

ولما بدا لي أنها لا تحبني

وأن هواها ليس عني بمنجلي

تمنيت أن تهوى سواي لعلها

تذوق صبابات الهوى فترق لي

لأنه تمنى أن تعشق محبوبته غيره حتى تتعطف عليه وهذا تعريض وإهانة كبيرة لقائلها، لذلك كله نقول للشعراء رفقاً بنا وبناشئتنا ولا تفسدوا ثقافتنا، ويكفي ما نتعرض له من مسخ وتشويه.

جريدة الوطن، العدد 8748، الجمعة 23/6/2000

obeikandl.com

ثقافة الخضوع والانهيار

عندما حل الدمار بفرنسا في بداية الحرب العالمية الثانية مما جعل عاصمة الثقافة والنور تصبح فريسة بيد الأعداء، أحدث هذا الموقف ذهولاً وضجة كبيرة بين الأوساط الفرنسية، وبدأت رحلة البحث عن الأسباب، والتي أخذت تتشكل بتشكل الباحث نفسه، فالسياسي أرجعها لعوامل سياسية والاقتصادي لعوامل اقتصادية وهكذا، ولكن التفسير لهذا الانهيار اختلف لدى أحد الأدباء وإن لم أكن مخطئا فاسمه (رومان رولان)، فقد أرجع المشكلة إلى تفشي ثقافة وأدب الخلاعة والمجون، ويوضح بصورة أدق عندما يقول «إن الأمة التي ينتشر بها هذا النوع من الأدب سوف يصيبها الخمول والتقاعس وعدم المبالاة مما يؤثر في سلوك أفراد المجتمع» وهذه الفكرة طرحها أيضا أحد أدباء إسبانيا (أسين بالاسيوس) قبل سنوات طويلة لأنه أرجع انهيار الإمبراطورية الفارسية للأدب الماجن والثقافة الشهوانية التي تحط من قيمة الإنسان.

هذه النظرة حملها أديبان لمجتمعين مختلفين، ونحن بدورنا لو طبقنا هذه النظرة الفلسفية العميقة لحال الأمة العربية الآن، قد تكون الصورة متشابهة أو على أقل تقدير متقاربة، ولنلق نظرة سريعة على الثقافة التي نتلقاها سواء المرئي منها أم المكتوب أم المسموع، حتماً سوف نصاب بخيبة أمل من هذه الثقافة التي هبطت بقيمة

الإنسان وجعلته مسيراً لأهوائه وغرائزه وفي المقابل هدمت الكثير من القيم والأفكار الرائدة، ومع الأسف نجد في المجتمع من ينادي بمثل هذه الثقافات انطلاقاً من حرية الرأي والتعبير، مما أضعف نزعة التفكير الناقد والنظرة الأكثر جدية للحياة، علماً بأن هذه الحرية التي يرونها ما هي إلا قيود تكبل تفكير الإنسان وحريته لأنها حبسته في غرائزه.

أما الثقافة التي تحيي القلوب وتنير العقول فقد عدها بعضهم ثقافة تخلف وظلام وأصبح كل من ينادي بالأدب الرفيع أو العودة للتراث متخلفاً في نظرهم.

النقطة التي أود أن أركز عليها هي أن نمط الثقافة السائد الآن يؤثر في الإنسان العاقل الذي قد يتحكم بزمام أموره فما بالك بمراهقين يفتقدون التوجيه السليم، أتصور أن الأضرار أكبر وأكثر تهميشا لهؤلاء الشباب فليتقِ الله من ينادي ويطالب بنشر هذه الثقافات لأن بعض الكتّاب قد يخطون مقالة صغيرة وقد ينسونها ولكنها مسجلة عليهم و يتأثر غيرهم بها وهم لا يعلمون.

جريدة الوطن، العدد 8264، الثلاثاء 16/2/1999

obeikandl.com

ملك العرب غير المتوج

«لمدة عامين أخذت أقتفي أثر لورنس من مكتبة لأخرى، وعلى طول آلاف الأميال عبر صحراء الشرق الأوسط، وعلى ظهور النوق أحياناً وعلى الأقدام أحياناً أخرى، وكان يحدث أن أشعر بحضوره في أماكن غير متوقعة...»

هذه الفقرة جزء من مقدمة كتاب (لورنس ملك العرب غير المتوج) لمايكل آرثر والذي ترجمته الدكتورة فاطمة نصر وراجعه الدكتور عاصم الدسوقي، والكتاب صدر بطبعته العربية الأولى عام 2000م، ويمثل بطبيعة الحال عملية بحث جادة قام بها المؤلف، ويدل على ذلك تتبعه لرحلات لورنس في البلدان التي زارها وتنقله من مكان لآخر للوقوف على الآثار التي كتب عنها لورنس في ذلك الوقت، حتى المسافات التي ذكرها حاول المؤلف التحقق منها والتثبت من كل المعلومات التي وردت في كتاباته التي من أهمها مؤلفه أعمدة الحكمة أو رسائله لذويه.

الجميل في الكتاب أن الترجمة كانت موفقة بدرجة كبيرة، من حيث الاتساق وعرض الأفكار دون وجود فواصل تجعل القارئ يضيع بين الفقرات، وقد اختصر مُراجع الترجمة الدكتور عاصم الدسوقي بعض أفكار الكتاب، حيث أشار إلى أن المؤلف سعى جاداً لتهشيم

obeikandl.com

صورة لورنس العرب من خلال تناوله لحياته الخاصة وما يشوبها من شذوذ ومآخذ عليه، وإن كان ذلك يدعونا للتفكير في غاية المؤلف من سرد تلك المواقف.

ما يهمنا نحن العرب من هذا الكتاب تساؤلان يطرحهما المنطق، الأول مدى مصداقية لورنس خلال وجوده في المنطقة العربية وعن الدور الذي قام به تجاه قضايا العرب، وقد تكون هناك كتابات عربية قامت بتحليل هذه النظرة، والتساؤل الثاني وهو الأهم هل نحن كنا بهذه السذاجة حيث يقتحم رجل إنكليزي حياتنا ويشكل كثيراً من جوانبها السياسية خصوصا أنه ظهر في فترة حرجة من تاريخ العرب وفى منطقة أيضاً مهمة. فلورنس كما يشير الكتاب أو كما أشار هو في كتاباته كان له وجود وحضور قوي، وعليه ماذا يمكن أن نسمي وجوده بيننا في تلك الحقبة، لأننا لا يمكن أن نمحو تاريخاً حياً ولا أن نطمس شخصية بارزة بهذا الحجم، فتلك الشخصية ترددت في أدبياتنا السياسية والشعبية.

والغريب أن لورنس عاش حياة الغموض التي كان يثيرها حول نفسه، ولكن الأغرب نهايته المأساوية والتي كانت بسبب حادث وقع له وهو على دراجته النارية.

جريدة الوطن، العدد 9913، الخميس 11/9/2003

obeikandl.com

التطرف الوطني

في عددها (115) نوفمبر، ديسمبر 2002 نشرت مجلة الثقافة العالمية مقالا جميلا تحت عنوان «التطرف الوطني في اليابان» بقلم ستيفن س. لارج، وترجمة محمد يونس، المقال تناول شخصية غامضة ومثيرة فعلا لرجل يدعى (أينون نيشو)، بدأت حياته مضطربة وقلقة وكثيرة المشاكلات، وفي فترة من الفترات كانت أيضا ماجنة، ثم نجده وبسبب الصراع والقلق الوجودي يتحول إلى مذهب النيتشيريين، إلى أن يكّون فرقة تحت اسم عهد الدم «الكوتسو ميدان» والتي اهتم بها وأشبعها تلقيناً.

من خلال المجموعة التي كونها أخذ يفكر بإصلاح الوضع الياباني الفاسد (كما يظن) وعليه أن يقوم هو ورفاقه بهذه المهمة التي اتخذوا من الإرهاب والتصفية الجسدية وسيلة لذلك، كانت الحصيلة الأولى مقتل (أينو جونوسوكي) وزير المالية آنذاك (1932) و(دان تاكوما) مدير شركة متيوسي مع أن هناك شخصيات أخرى كانت في قائمة التصفية، ولكن الأشخاص المكلفين بها لم ينفذوها، بعد هذه المحاولة تم اعتقال الفاعلين، أما أينون فقد سلم نفسه ليخضع لمحاكمة ثار حول قضائها كثير من اللغط، بالإضافة للتحرك الشعبي المؤيد له لينجو من حكم الإعدام إلى المؤبد إلى أن خرج من السجن بعفو عام

سنة 1940م ولتكون أفكاره نواة لأفكار أخرى وليستمر نشاطه من خلال ما يعرف بحزب اليمين المتطرف إلى أن توفي عام 1967م عن عمر يناهز الواحد والثمانين عاماً.

بعد قراءة هذه المقالة يلاحظ المرء كيف أن هناك أشخاصاً لديهم التأثير الكبير في الآخرين خصوصاً الطلبة ومن ثم توجيههم الوجهة التي يشاؤون حتى إن كانت خارجة عن القانون، والمشكلة هنا أنهم يسوقون لأفكارهم المتطرفة عن طريق عقيدة يضعونها ومن ثم يسيرون عليها كما فعل أينون، بوضع هدف شكله الظاهر نبيل جداً وهو حب الوطن والدفاع عن حقوقه، وأيننو الذي عاش فترات قلقة وجد في تلك الأفكار مجالاً خصباً للتعبير عن ذاته، ووجد في المقابل الوطنية سبيلاً لذلك، وهنا تكمن الخطورة، وهي أن يكون هناك أشخاص من هذا النوع التي أثبتت وقائع التاريخ أن لكل منهم حضوراً شعبياً، وبذلك تتشكل روافدهم من أفراد أيضاً إما أن تكون لديهم فعلاً أهداف نبيلة وإما أنهم مثل زعيمهم يعانون من مشاكلات نفسية واجتماعية.

السؤال الذي يتبادر للذهن كيف للمجتمعات أن تواجه مثل هذه الظواهر، وسأجيب بصورة مختصرة جدا علما بأن الإجابة تحتاج لصفحات عدة، وإجابتي هنا إن هذا كله مسؤولية مجتمعية، بمعنى أن كل وسائط التربية مسؤولة عن ذلك، وأعني بها الأسرة والمدرسة ودور العبادة والإعلام، وبقوة وضعف دور تلك المؤسسات التربوية تنشط

مثل هذه الأفكار، وقبل كل شيء لا بد من العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية، حتى يتم سد كل الذرائع التي ممكن أن تكون مبرراً لمثل هذه الأفكار، وتجفيف منابعها وقطع روافدها.

جريدة الوطن، العدد 9656، السبت، 28/12/2002

obeikandl.com

obeikandl.com

من قتل شهرزاد

إدغار ألان بو، أديب وشاعر أمريكي، ولد في عام 1809م في بوسطن، من أبوين يعملان في مجال التمثيل والده دافيد كان مدمن كحول، مما جعله يختفي من الوجود بعد ولادته، أما والدته إليزابيث أرنولد فقد توفيت وهو في الثانية من عمره، فتكفلت أسرة جون ألان برعايته.

عاش الأديب حياة مأساوية بين اليتم والفقر والحاجة والنبذ لدرجة أنه انضم لجيش أبراهام لنكولن هرباً من الجوع، وانضم للسلك العسكري بصفة رسمية 1830م ولكنه طرد بعد عام لسوء سلوكه، حتى والده بالتبني طرده وهو يحتضر ولم يذكر له شيئا في وصيته، لذا أخذ يدور على المطابع لنشر قصصه المتنوعة ولكنه كان يفشل إلى أن جاءت له الفرصة ذات يوم وأصبح أديباً مشهوراً، ولكنه استمر على سلوكه حتى أدمن الخمر والمخدرات، وفي عام 1849م وجد على قارعة الطريق وهو فاقد الوعي واستمر على هذه الحالة حتى مات بعد أربعة أيام.

كان يطلق عليه شاعر أو أديب الرعب، لحضور الرعب في كتاباته، حتى أسماء قصصه كانت غريبة، مثل «قناع الموت المخيف» «انهيار منزل»، «شر القلب الواشي»، «القط الأسود»، هذه السوداوية والرعب في قصصه بسبب إفرازات الصراعات اللاشعورية التي عاشها وما تركته من أثرٍ كبيرٍ في نفسه، جعله يحمل كمية الرعب هذه.

ولكن إدغار ألان بو ارتكب جريمة كبيرة في إحدى قصصه، وهي «ألف ليلة وليلتين» ففي هذه القصة قتل ألان بو «شهرزاد» صاحبة القصة الشهيرة ألف ليلة وليلة، الفتاة التي استطاعت أن تنقذ بنات جنسها بسبب تجبر وسلطوية شهريار، الذي أخذ يقتل كل ليلة فتاة ولكنها استطاعت أن تروي له القصة حتى يأتي الصباح وهكذا، ولكن إدغار ألان بو جعل شهريار يقتلها لأنها أخذت تحكي له عن المخترعات العلمية في الغرب وقد رفض أن يصدقها، وكيف يصدقها؟ ثم كيف عرفت؟ حتما إن سندباد هو الذي أخبرها، لذلك استحقت شهرزاد القتل شنقاً.

وبذلك اهتزت صورة شهرزاد التي كانت مثالاً للذكاء وفن الحوار والقص وجعلها إدغار ألان بو تقدم رقبتها بسبب ما تحدثت به عن الاختراعات الغربية، ومشكلة شهرزاد أنها أصبحت تمثل رمزا للفطنة وقدرة المرأة على الثبات ومواجهة الأخطار، ولكن الأديب الأمريكي قتلها وأنهى هذه الأسطورة المشرقة.

فلنتأمل حولنا... من قتل شهرزاد وأخرجها عن دورها التاريخي والاجتماعي وجعلها تتأرجح بين الصح والخطأ وأضاعها ثم أضاع المجتمع معها.

جريدة الوطن، العدد 9440، الجمعة 24/5/2002

openkanal.com

أوهام النخبة

(أوهام النخبة) أو (نقد المثقف) عنوان كتاب للدكتور علي حرب صدرت طبعته الأولى عام 1996، والثانية عام 1998 وهي الطبعة التي اطلعت عليها، الكتاب من النوع المثير للجدل وهذا يرجع لطبيعة الموضوع ولمن يمسهم الحديث في الكتاب وأعني بهم النخبة، فهو بذلك مس الناحية النرجسية في المثقف العربي، وهذا ما جعل الكتاب يخضع للعديد من النقاشات والجدل في الأوساط الثقافية إبان صدوره.

الفكرة الرئيسة في الكتاب تقوم على التساؤل حول دور المثقف العربي في تغيير الواقع ثم يحاول أن يبرز بصورة جلية أهم المعوقات التي تحد من ذلك الدور المطلوب من المثقف، وباختصار شديد يمكن إيجاز أهم المعلومات التي يراها الدكتور على حرب والتي أطلق عليها أوهاماً بالآتي:

وهم النخبة: يقول في ص 98 (أعني بهذا الوهم سعي المثقف إلى تنصيب نفسه وصياً على الحرية والثورة أو رسولاً للحقيقة والهداية أو قائداً للمجتمع والأمة).

وهم الحرية: يقول في ص 99 (وأعني بهذا الوهم اعتقاد المثقف أن بإمكانه تحرير المجتمعات والشعوب من أشكال التبعية والهيمنة أو شروط التخلف والفقر).

وهم الهوية: يقول في ص 104 (وأعني بهذا الوهم اعتقاد المرء أن بإمكانه أن يبقى هو بالتطابق مع أصوله أو الالتصاق بذاكرته أو المحافظة على تراثه، وهذا الوهم جعل المثقف يقيم في قوقعته ويتصرف كحارس لهويته وأفكاره؛ الأمر الذي منعه من التجديد والإبداع).

وهم المطابقة: يقول في ص 108 (ومفاد المطابقة أن الحقيقة جوهر ثابت على التجربة متعال عن الممارسة) ولتوضيح ذلك يقول في الصفحة نفسها (وهذا الاعتقاد ترجم غالبا على نحو سلبي وقد ترجم في أحيان كثيرة على أنه انهيارات وكوارث أو خيبات وإحباطات، كما تجلى ذلك في محاولات تطبيق أفكار كالاشتراكية والديمقراطية والوحدة فضلاً عن مقولات زوال الدولة أو نهاية التاريخ أو انتقاء الصراعات بين البشر).

وهم الحداثة: يقول في ص 111 (وأعني بهذا الوهم تعلق الحاثي كتعلق اللاهوتي بأقانيمه أو المتكلم بأصوله أو المقلد بنماذجه، وهكذا فنحن إزاء سلوك فكري يتجلى في تقديس الأصول أو عبادة النماذج أو التعلق الماورائي بالأسماء والتوقف الخرافي عند العصور).

هذه الأوهام طرحها الدكتور علي حرب وهي لا شك ذات معنى ومغزى كبير قد لا نقبل بعضها ولكننا لا نستطيع أن نرفضها كلها، وأهم شيء نصل إليه هنا أن مشكلة المثقف العربي أصبحت ترجع إلى المثقف نفسه، فقد غابت بشكل واضح العوامل الموضوعية الأخرى،

ففي السابق كان الحديث عن الاضطهاد والتسلط، ولكن واقع الحال كشف لنا أن بعض المثقفين أصبح من أهم مسوغات التسلط، يكفي على سبيل المثال مفهوم النخبة نفسه إذ أعطى لبعضهم رؤية طبقية تطالب بحقوق وامتيازات تجعلها متعالية عن الجميع وعن المجتمع بل حتى عن النقد نفسه، لذلك كان السؤال المطروح دائما، ما الدور الذي قامت به النخب الثقافية في الوقت الحاضر، فإذا كنا وللأمانة الأدبية والتاريخية لا ننكر دور بعض المثقفين في نهاية القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين، من خلال الحركة الثقافية والأدبية التي كان بعضها نتاجاً أصيلاً وبعضها مترجماً أو أحياء لتراث ماض عتيد، فإننا الآن نتساءل وبكل ألم وحسرة أين المثقف العربي؟ لماذا كنا نقرأ في يوم ما عن الوحدة وأصبح التشرذم النتيجة الحتمية، كنا نقرأ عن التنمية والحرية والمساواة والتطور والتعليم والآن أصبحت مجرد أفكار ميتافيزيقية.

من هذا كله نخلص إلى أن مشكلة المثقف العربي أصبحت ترجع إليه، ففي يوم علقت الأمة آمالها على المثقف ودوره الريادي، لتكتشف مع الأيام أن نكستها كانت على يد بعض المثقفين خصوصا القريبين من السلطات السياسة.

جريدة الوطن، العدد 9426، الجمعة، 10/5/2002

obeikandl.com

obeikandl.com

السجينة

الجنرال «محمد أوفقير» شخصية معروفة في تاريخ المغرب السياسي المعاصر، ولد عام 1920، كان يتمتع بشخصية عسكرية قوية و صارمة، لذلك عين عام 1956 مديراً عاماً للأمن الوطني ثم أصبح وزيراً للداخلية عام 1965، اتهم في فرنسا في ذلك العام نفسه بتصفية المعارض المغربي المهدي بن بركة وقد حكم عليه غيابياً بالسجن المؤبد، وفي عام 1971 عين وزيراً للدفاع واستطاع أن يقمع الثورة التي قامت للإطاحة بالملك الحسن الثاني، حيث تم إعدام العديد من الضباط المتهمين بهذه العملية وكانت المحكمة تتكون من شخصيتين محمد أوفقير ثالثهم، وفي عام 1972 جرت محاولة ثانية لاغتيال الملك الحسن الثاني أثناء عودته من فرنسا، وقد اتهم أوفقير بأنه من دبر العملية، وفي السابع عشر من أغسطس عام 1972 أشيع أن أوفقير انتحر خجلاً من فعلته، والذي رفضت بطبيعة الحال أسرته هذا الادعاء بل يؤكدون بأنه قتل.

بعد موت أوفقير تم التحفظ على أفراد أسرته ووضعوا تحت الإقامة الجبرية، وفي ديسمبر 1972 كانت بداية رحلة سجن طويلة استمرت واحداً وعشرين عاماً، لأسرة أوفقير التي تتكون من زوجته وأطفاله الخمسة الذي يبلغ أصغرهم (عبد اللطيف) سنتين ونصفا، بالإضافة إلى مرافقتين للأسرة.

ومن خلال سرد مؤثر تقوم مليكة أوفقير البنت الكبرى بكتابة كل ما تعرضت له الأسرة من عذاب وضنك خلال فترة السجن، والحديث عن الأمل والألم، وكيف كانت الحياة من خلال الانتقال من سجن إلى آخر، حتى كانت عملية الهروب ثم الخلاص النهائي، وظهرت المذكرات في كتاب يحمل اسم السجينة.

بعد خروج مليكة أوفقير من السجن قامت بكتابة هذه السيرة بالتعاون مع صديقة لها يهودية تدعى ميشيل فيتوسى، حيث تنطلق مليكة بالحديث عن طفولتها ونشأتها في منزل محمد الخامس، وتسجيل كل مشاهداتها في القصر ثم انتقالها لمنزل أسرتها حتى الخروج من السجن، على الرغم من أن السير الذاتية لها جانب كبير من الأهمية من خلال إعطائها رؤية واضحة للظروف التي كتبت فيها تلك السير، وفي الوقت نفسه تعد مجالا كبيراً للتحليل، إلا أن الإنسان يتساءل عن الجانب الأخلاقي في الكتابة، فهل بالإمكان أن نكتب كل ما حدث دون أية ضوابط، مثلا هل من المقبول أن تتكلم مليكة عن حياة القصر الخاصة وسلوكيات الملك؟ وهل يجوز لها أن تتكلم عن والدتها وخلافاتها مع والدها وعلاقاتها وغيرها من الأفكار التي تشكل إساءة واضحة لأسرتها.

الأمر الأخر الذي لفت نظري، هو أن الإنسان أثناء معايشته للمحن يكون أكثر قرباً من الله ودائما يعيش حالة الرجاء والشعور بأن الله معه خصوصا عندما يكون مظلوماً، ولكنني لم أستشعر الجانب الإيماني من بين سطور مليكة أوفقير، بل الأدهى أنها تخرج

عن أدب الحديث عندما تخاطب الله في أكثر من موضع في كتابها. حتى تصل إلى الاعتراف بأن الإسلام لم ينفعهم في محنتهم مما جعلهم يختارون الكاثوليكية ورسم إشارة الصليب والاستنجاد بالسيدة العذراء تقول في ص 241 (كان إيماننا بعجائبية هذا الصليب عظيماً، وكنا كل ليلة نصلي مرتين، مرة ونحن نفتح النفق وأخرى ونحن نقفله، وبما أننا رفضنا الإسلام لأنه لم يقدم لنا أي شيء جيد اخترنا العقيدة الكاثوليكية).

هذا الأسلوب والخروج عن الدين بمحض إرادة الإنسان يصور لنا هشاشة الناحية الإيمانية لدى الفرد، ويصور حجم المعاناة التي تعرض لها، وكذلك المركب الثقافي الذي يحيط بالإنسان، لذلك فكتاب السجينة كتاب يمكن قراءته بأكثر من اتجاه.

جريدة الوطن، العدد 9236، الأحد 28/10/2001

obeikandl.com

obeikandl.com

حدائق الملك

حدائق الملك الكتاب الثاني لأسرة أوفقير، التي سجنت لمدة عشرين سنة، وحدائق الملك هي سجون ملكية في المغرب كما تزعم المؤلفة، الكتاب الأول كان بقلم البنت الكبرى مليكة وكان بعنوان السجينة وقد كتبت عنه قبل فترة مع ترجمة للجنرال محمد أوفقير، والثاني بقلم الأم فاطمة أوفقير، التي اتخذت العنوان نفسه، وبين الكتاب الأول والثاني بون شاسع، فكتاب البنت كتب بطريقة ممتازة من حيث الأسلوب وطريقة العرض وكم المعلومات التي فيه، ويستطيع القارئ أن يستنبط كثيراً مما يقع بين السطور، أما كتاب الأم فكان مهلهلا وطريقة عرضه سيئة ولا تقوم على تسلسل منطقي، وهو أشبه بأحاديث السمر.

تناولت الكاتبة حياتها مع أوفقير مقدمة نفسها بتعريف أسرتها ومكان وجودها وولادتها والظروف التي أحاطت بها، ثم تنتقل للزواج وعلاقتها بمحمد الخامس والحسن الثاني، ثم رحلة الواحد والعشرين سنة التي قضتها مع أطفالها في السجن.

أشد ما أصابني بالذهول شيئان **الأول**: تقول في ص 76 (لقد نبهنا القرآن الكريم بحكمته العالية: اتق شر من أحسنت إليه، وكن على الدوام متيقظاً) هكذا اعتقدت فاطمة أوفقير أن هذه الحكمة آية قرآنية، ما هذا الجهل بالقرآن الكريم، وأنا أستغرب ألم تقرأ القرآن

الكريم؟! علماً بأنها تستعرض الكثير من المؤلفات والروايات الأجنبية التي اطلعت عليها وتستشهد بها، وهل كانت هي بحاجة لذكر هذه الحكمة؟! كان الأجدر أن تقوم بالتأكد من هذه الحكمة ومصدرها وتوثيقها على أقل تقدير.

الشيء الثاني: حديثها عن نفسها وعن علاقتها بالضابط الذي تركت بيتها من أجله، وتكتب وبكل وضوح أنها كانت تذهب معه إلى الغابات والشواطئ وحتى خراسنية المناهيل الجديدة، وتتكلم وبكل جرأة متناسية أنها مسلمة وأن لها أولاداً، ثم إنه بإمكانها تجاوز التفاصيل التي ذكرتها، والأدهى من ذلك أنها عادت إلى زوجها وكأن شيئا لم يحدث على الإطلاق منها.

لذلك كله هل نستطيع فعلا أن نثق بمثل هذه المذكرات والكتابات خصوصا أنها تتناول حقبا سياسية وأنها شاهدة عيان لكثير من المواقف الخاصة بالحكم والسلطة بالمغرب، لذا يجب ألا نأخذ مثل هذه المذكرات على إطلاقها، ولكن لابد من التمحيص وإخضاعها للمنطق والتفسير الواضح، وإلا نكون قد تجنينا على عباد الله.

جريدة الوطن، العدد 9254، الخميس 15/11/2001

obeikandl.com

الغريبة

مليكة أوفقير ضحية مغربية عاشت مع أسرتها لمدة عشرين سنة في السجن وأربع محاصرة في مسكن، دخلت وهي في ريعان الشباب وخرجت في الأربعين من عمرها، تألمت وحزنت كثيرا، خرجت ورأت النور هي وأسرتها بعد هروب كبير تابعه العالم في حينه، فصورت معاناتها في كتابها الشهير السجينة، ولكن كتاب الابنة كان أجمل وأقوى تأثيراً والدليل انتشاره في معظم بلدان العالم حيث ترجم إلى لغات عدة منها العربية بالطبع.

في كتابتها السجينة عشنا معها لحظات السجن والألم والضياع والأمل، شعرنا بالانقباض والذهول فما أصعب أن تسجن دون ذنب ودون أجل محدود، لا يشعر بك أحد، أسرة كاملة تسجن لأن ذنبها فقط أنها أسرة محمد أوفقير، فمهما كان محمد أوفقير ومحاولة انقلابه على الملك إلا أن ذلك لا يبرر سجن أسرة كاملة.

بعد نجاح كتابها السجينة أصدرت مليكة كتابها الجديد الغريبة، والذي صدر بطبعته الفرنسية عام 2006 وفي طبعته العربية 2007، فجاء ليكمل رحلة البحث عن الحياة والوجود للكاتبة.

بعيداً عن رأينا في أفكارها الخاصة وسلوكها الشخصي وبعيداً أيضاً عن التكرار الممل في بعض صفحاته، نجد أن الكتاب يتحدث عن محاولتها للعودة للحياة الاجتماعية، فتصور الألم النفسي والخوف

الذي يلازمها دائما، وكأنها خرجت من سجن لتدخل سجنا أكبر، وأصعب شيء عندما تقول عن نفسها عندما ترى اللباس العسكري (فبوجود الزي العسكري لم أعد أفكر، فأنا خاوية، أنا وعاء للغم، أنا أشبه بكلب أمام عصا) ص 67، شعور مميت محزن وخوف سرمدي، هذا ما أرادت أن تصوره في صفحات الكتاب، وأصعب ما قرأت قولها (غفرت لأولئك الذين سجنونا لعشرين عاما، إلا شيء وحيد: حرماني من أن أكون أماً).

كذلك في طيات كتابها تشير إلى احتفاظها بهويتها الذاتية لأنها لا تخجل من كونها ابنة محمد أوفقير ولا تحب أن تتوارى بسبب الاسم، وأيضا عبرت عن موقف خاص عندما علمت بموت الملك الحسن الثاني جلادها (على حد تعبيرها) فلم تحزن ولم تفرح وقالت (تركني الحسن الثاني يتيمة من ألمي، جردتني وفاته من باعثي الوحيد للكره والكفاح والتألم، فقد كان ذلك الباعث هو ما أبقاني لزمن طويل عائمة في قاع سجني، حزن شديد كلما انقضت الساعات، لأن موت أمير المؤمنين هو بعض منه موتي أنا، فبرحيله المفاجئ دون تسوية حساباته، دفن معه فرصتي الأخيرة لأفهم لماذا؟ لطالما أردت أن يجيب شخصيا ذات يوم عن السؤال الذي راودني طيلة حياتي، لماذا نحن ؟ لماذا أنا، التي كنت بمثابة ابنته ـ لن أحصل قط على إجابة لأسئلتي، وبهذه الخسارة الأخيرة، هذا الحرمان الجديد من الهوية ـ هويتي كضحية غادر الحسن الثاني نهائيا من المسرح من الدور السهل) ص 225،

وبهذا الشكل المؤلم والتساؤلات الأكثر ألماً سارت مليكة في سردها لبعض من صور حياتها الحزينة، والتي أتصور قد تصبح موضوع فيلم ذات يوم.

ميزة مثل هذه الكتب أنها تعبر فعلا عن جانب محزن في حياة إنسان انقطع عن العالم قسراً ثم فجأة يعود ليواجه صراعاً كبيراً، بسبب محاولة نسيان الماضي والتخلص منه ومن جانب آخر التكيف مع حياة جديدة بعيداً عن شبح الخوف الذي يحيط به.

جريدة الوطن، العدد 11209، السبت 7/4/2007

obeikandl.com

obeikandl.com

هل سقط بدوي

عبد الرحمن بدوي فيلسوف وجودي كبير وهو في الوقت نفسه مؤرخ للفلسفة غزير الإنتاج وصاحب نفس طويل في الكتابة، وقد ساعده على ذلك إجادته لسبع لغات، وأول ما قرأت له كتاب «نيتشه» في طبعته الثالثة الصادرة عام 1956، وقد كان هذا في عام1980، بعدها أخذت أبحث عن كتبه لأقرأ معظمها على سبيل المثال (شوبنهور ـ أرسطو ـ أشبنجلر ـ فلسفة التربية والدين عند كانت ـ موسوعة الفلسفة ـ رابعة العدوية ـ الإنسانية والوجودية في الفكر العربي ـ دراسات في الفلسفة الوجودية ـ أمانويل كانت ـ مدخل جديد إلى الفلسفة ـ رسائل فلسفية) وكتب أخرى لا يتسع المجال لذكرها.

قراءتي لكتبه وإعجابي بها لم يمنعاني من التعليق على بعض ما أرى أنه مجانب للصواب وهذا ما ذكرته في مقالة لي كتبتها في جريدة الوطن بتاريخ 8/1/1998 خالفت رأيه عندما ضعف حديثاً للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كتابه مناهج الإسلاميين الجزء الأول.

ولكنني كنت أتساءل لماذا يعاني من التعتيم وعدم الاهتمام؟ على الرغم من أن من هم أقل منه إنتاجاً ومعرفة لهم اسمهم ووضعهم، ولا عجب أن أجد أن هناك: من يتساءل مثلي ليصل معي إلى النتيجة نفسها التي وصلت إليها وأعني به «علي العميم» والذي قرأت له مقالا في مجلة المجلة في عددها 1054 والصادر بتاريخ 29/4/2000، لأفاجأ بعبارة شديدة ذكرها؛ حيث يقول:

«وعندما قرأت سيرة حياته (بدوي) تحول هذا الظن إلى يقين راسخ بأن العلة تكمن في شخصه الكريم، إذ تأكد لي أنه من الأشخاص الذين لا يمكن أن يغامر في منحهم الود والمحبة سوى أمهاتهم اللواتي كان قدرهن المحتوم أن ينجبنهم».

هذه العبارة أو هذا المقال جاء بعد مشكلة كبيرة أثارها عبدالرحمن بدوي، وهي إصداره لكتاب بعنوان «سيرة حياتي» خلق أزمة فى الأوساط الثقافية في مصر والدول العربية لأنه كبير الحجم (765) من القطع الكبير فظيع بما حواه من غرور وهجوم غير مبرر على كل من مر بحياته وكأن جريمتهم أن مروا بحياته، لأنه لم يترك مفكراً أو كاتباً سياسياً لم يقذفه بعباراته الجارحة منهم «جمال عبدالناصر ـ محمد عبده ـ شيوخ الأزهر ـ سعد زغلول ـ مصطفى فهمي ـ مصطفى النحاس ـ محمد فوزي ـ محمد حسين هيكل».

وقد قام حسين أحمد أمين بعرض الكتاب والتعليق على بعض ما جاء فيه في مجلة الهلال في عدد إبريل 2000، والذي ذكر في مقدمته للمقال عبارة تستحق الوقوف طويلاً عندها وهي «إن كانت ثمرة تكريس الحياة الطويلة لدراسة الفلسفة والتعبد في محرابها والعزوف عن الزواج وعن معاشرة الناس وتعهد الصداقات من أجل التفرغ الكامل لها والوصول إلى مثل هذه الحالة الكئيبة البائسة التي تبدو عليها شخصية الدكتور بدوي في كتابه فبعد للفلسفة أي بعد ولعنة الله على من أولاها اهتماماً أو نظر بعد اليوم في كتاب فيها».

فأن يصل كاتب لمثل هذا الشعور وهذه النتيجة لاشك أن السبب كبير ويدعو للدهشة والإشفاق على إنسان مثل عبد الرحمن بدوي، وزاد الموقف قتامة وصعوبة ما ذكرته مجلة (المجلة) في عددها الصادر بتاريخ 29/4/2000 في لقاء كان معه أظهر الجانب السيئ والمثير في شخصية عبد الرحمن بدوي، لأنه تعامل معهم بكل غرور وصلف وجفاف مع استخدام ألفاظ نابية فى حق معدي اللقاء «عثمان تزغات وأسامة خليل» هذا عدا أنه أصر على استلام مبلغ من المال «350 إسترليني» قبل اللقاء، وعندما يشتد النقاش يقذف النقود وإذا هدأ وضعها في جيبه وهكذا، وإذا خرج عن طوره يقول «إنني لم أر في حياتي أحقر منكما» أو إنه يوجه الكلام إلى «عثمان بقوله» ما هذه السفالات، واضح أنك تربيت في وسط سافل، وأنك لا تعيش إلا وسط السفالات.

صورة أخرى مؤلمة عن عبد الرحمن بدوي إذ كيف لا يتحمل النقاش والخلاف ويتلفظ بمثل هذه الألفاظ، وهو ألف كتابه الضخم في السباب والهجوم، وهذا ما جعلني أعود لكتاب أعده «سالم حميش» عام 1988 تحت عنوان «معهم حيث هم ـ لقاءات فكرية ويتضمن مقابلات أجراها المؤلف مع بعض المفكرين من ضمنهم عبدالرحمن بدوي، وقد وجدت أنه يستخدم الأسلوب نفسه ولكن بدرجة، أقل فكلمة حماقة وسخف تتكرر معه، وهذا عدا الغرور والهجوم غير المبرر أحياناً».

وأطرف ما قرأته في لقائه مع «حميش» دعوته دول الخليج لبذل أموالها للنهضة الفكرية بدلاً من إضاعتها في «الندوات والحفلات والمؤتمرات في جيوب النصابين والدجالين والمتاجرين بالإسلام وهذه الدعوة الكريمة تصدر عن إنسان اشتهر بالبخل المتطرف، وقد ذكر لي بعض طلابه أنه عندما كان في الكويت كان يرتدي (بدلة طوال) العام، وأنه كان يركب (الوانيتات) للذهاب إلى السكن، هذا عدا حبه الشديد للمال وترديده ذلك دون تورع.

وإذا أردت أن أختتم مقالتي هذه عن عبد الرحمن بدوي فإن هذا كله لا يلغي دوره الكبير في التاريخ للفلسفة والكتابة والإنتاج الفكري، أما غروره وإن كنت كحال خلق الله نكره المغرور المتعالي، أجد أن غرور بدوي تواضع كبير أمام بعض أدعياء الفكر وبعض الأساتذة الذين ليس لهم أي إنتاج علمي وعندما تحادثه أو تجلس معه تجده لا يرى أحداً حوله وأنه سقف العلم ووحيد عصره.

جريدة الوطن، العدد 8706، الجمعة 12/5/2000

obeikandi.com

رحم الله الهويدي

كل من عرف شاعرنا ووالدنا سليمان الهويدي شخصياً أو عن طريق شعره لابد وأن يفجع بنبأ وفاته، لأنه رحمه الله عاش كريماً ومحبوباً لدى الجميع، تعوّد على العطاء في الوقت الذي تعود غيره على الأخذ، عاش رائداً من رواد الشعر الشعبي الجميل، ولا أخفي أن أقول إننا تربينا وتعلمنا من شعره الكثير، خدم التراث عندما كانت خدمة التراث معيبة كبرى، عاش قنوعا صبورا وتحمل من أجل تحقيق أهدافه النبيلة الكثير في الوقت الذي كان غيره يستفيد ويكبر، وعندما يطلق عليه لقب الفارس، فإنه يستحق ذلك لأنه فارس بالكلمة الشعرية الجميلة وفارس في القيم والشيم التي يحملها.

أهم ما يميز شعره رحمه الله عدم الابتذال مع البحث عن المعاني الجميلة والتي تتدفق منه دون تكلف أو اصطناع، وإذا أردت أن أطلق عليه لقباً يستحقه في مجال الشعر فهو لقب شاعر القيم، لأن أغلب أشعاره التي يكتبها أو يرددها تحمل القيم الجميلة، فقصيدته، «عشقت القمر» والتي أرى أنها من عيون الشعر الشعبي ولا أبالغ إذا قلت في القديم والحديث على السواء، لأنها تزخر بالقيم الرائعة، فهي تضم قيم: الكرم والتسامح والصدق والتواضع... إلخ.

كما تعكس أشعاره رحمه الله الجانب التربوي الأبوي الجميل ويدل على ذلك قصيدته «يا صالح البحث خله...» أما أكثر الأبيات تأثيراً في النفس:

عسى ما موت إلا كبار بناتي

يمشين سعيدات ولا هن يتيمات

فهذا البيت به أكثر من صورة، أهمها الإيمان بما قدر الله والموت منها، ولكن يخالطه الأمل والرجاء بألا يموت إلا بعد أن تتم السعادة لبناته، ونرجو من الله أن يكون تحقق ما أراد.

كذلك اتجه في قصائده الأخيرة لطلب العون والرحمة والمغفرة من الله، وهذا إن شاء الله من صفات المؤمن، صادق الإيمان، لأننا في حالات الضعف والمرض لا نلجأ إلا إلى الله فهو نعم المولى ونعم النصير.

غفر الله لشاعرنا ووالدنا سليمان الهويدي وأسكنه فسيح جناته، ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يجعل قبره روضة من رياض الجنة، وأن يلهم أهله وذويه ومحبيه الصبر والسلوان، وأن يجنبه عذاب جهنم، وأن تكون محبتنا الخالصة له في ميزان أعماله، آمين يا رب العالمين.

جريدة الوطن، العدد 8784، السبت 29/7/2000

openkandil.com

شيكاغو

علاء الأسواني كاتب روائي بزغ نجمه فجأة بعد رواية عمارة يعقوبيان التي نجحت نجاحاً منقطع النظير، وبذلك تحولت إلى فيلم تعد ميزانيته الأكبر في تاريخ السينما المصرية، في مطلع هذا العام (2007) صدرت له رواية جديدة تحت اسم شيكاغو، والغريب أنها نفذت من المكتبات بشكل سريع، بل إن طبعتها الرابعة صدرت في شهر فبراير، أي بعد شهرين من صدورها.

روايته الجديدة مسرحها شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية، وبذلك كانت مقدمة الرواية مختصرة وجميلة عن تاريخها تجذب القارئ لها بشكل سريع، وتجعله يألف الدخول للرواية ذات الأربع مئة والثلاث والخمسين صفحة.

تتناول الراوية من خلال حياة جيلين من المهاجرين والدارسين المصريين مشكلات كثيرة ومعقدة، من أهمها الفساد السياسي والاجتماعي وحالات الاغتراب وصراع الهوية والرؤية الدينية للأشياء وما يتعلق بها، وأسباب ظاهرة التدين التي سادت مصر خلال العقود الثلاثة الماضية، والحركات الطلابية ومشاكلات الأقباط وشعورهم بأنهم مواطنون من الدرجة الثانية، وتعامل أمن الدولة مع المعارضين للنظام والأساليب الوحشية التي يستخدمونها (حسب رأي المؤلف) وبّين الكاتب تلك الظواهر من خلال شخصيات الرواية. فكل شخصية تعكس جانبا من جوانب المشاكلات التي سبق ذكرها.

لا شك أن الرواية عمل كبير ومتقن وسارت أحداثها بشكل واضح دون تعقيد، كذلك كانت لغة الرواية سهلة ومفهومة بعيدا عن السطحية، ولكن الأسواني كعادة الروائيين العرب يحتل الجنس مكانة كبيرة في الرواية، بل إنه أسهب في بعض قضايا الجنس بصورة مقززة، وأنا هنا أنظر من زاوية تربوية وأخلاقية، لأن هناك نظرة أدبية للعمل الأدبي تجعل كاتبها أو ناقدها يتحرر من الضوابط وينظر للرواية برؤية أدبية صرفة.

حاول الكاتب أن يكون محايداً كثيراً، ولكن رؤاه تظهر بين السطور، ولاسيما في قضيتين الأولى تتعلق بالقمع والفساد السياسي، والثانية بتكييف النظرة الدينية لقضايا خاصة بأبطالها، مما جعلهم يجيرون الدين لمصالحهم الخاصة، كذلك نلاحظ أن المؤلف أحيانا يمجد الشخصية المصرية بشكل كبير وأحيانا يجلدها بشكل أيضا كبير، فهي مرات مبدعة ووطنية وأحيانا متملقة وكسولة.

من الملاحظات أيضا أن المؤلف استخدم التحليل النفسي لتفسير سلوك بعض شخصياته، من حيث علاقة الأبطال بالمرأة بشكل عام أو الإخفاقات الجنسية بشكل خاص، كذلك يبين أن حالات التدين ترجع لحالة الإحباط (القمع، الفقر، اليأس من المستقبل، غياب أي هدف قومي، المصريون يئسوا من العدل في هذه الدنيا فصاروا ينتظرونه في الحياة الأخرى، ما ينتشر في مصر الآن ليس تديناً حقيقيا وإنما اكتئاب نفسي جماعي مصحوب بأعراض دينية، وقد زاد الأمر سوءاً أن ملايين المصريين عملوا سنوات طويلة في السعودية وعادوا

بالأفكار الوهابية، وقد ساعد النظام على انتشار هذه الأفكار لأنها تدعمه..... المذهب الوهابي يحرم الخروج على الحاكم المسلم حتى لو ظلم الناس... أكثر ما يشغل الوهابيين تغطية جسم المرأة ص 381. هذا الكلام جاء بالرواية على لسان زينب الثورية الناصرية القديمة، ولكنني أنظر لرأي المؤلف من خلاله، فالشعب المصري بتاريخه الطويل كان يعاني من أمور كثيرة، بعيدا عن التأثير الوهابي (كما يقول المؤلف) فقيم الصوفية وزيارة القبور والخرافات والاعتقادات الخاطئة شكلت مرجعية فكرية بدا واضحاً آثرها السلبي في على الفكر والمجتمع المصري والتي تناولها كثير من المفكرين المصريين وأولهم الدكتور فؤاد زكريا.

من القضايا التي نجح المؤلف بتصويرها حقاً، حياة الجيل القديم الذي هاجر واستقر في شيكاغو وبين تركيبتها النفسية التي حملت الرغبة في الاندماج بالمجتمع الجديد ومن جانب آخر لا زالت تحمل رؤيتها الشرقية القديمة، مما أفقدها هويتها وجعل نهايتها أليمة، فأحدهم مات منتحراً وآخر فقد ابنته بسبب المخدرات.

على وجه العموم الرواية تستحق القراءة، لأن بها أمورا قابلة للاختلاف والمناقشة، بسبب عمق القضايا المطروحة، وتركها أيضا مفتوحة لأنها لازالت موجودة ويعاني منها الشعب المصري.

جريدة الوطن، العدد 11227، الأربعاء 25/4/2007

obeikandl.com

obeikandl.com

أوهام تحقيق الذات

في عام 1999 كتبت مقالاً بعنوان السعادة في أسبوع، تطرقت من خلاله بالإضافة لمقالات أخرى لموضوع أصبح أشبه بالموضة ساد واقعنا، وأعني بذلك الدورات والكتابات التي تركز على كيفية تحقيق الذات وتفجير الطاقات والتخلص من التوتر وغيرها من المسائل التي طغت وبشكل منقطع النظير، بل إنني أراها بازدياد بظهور الدورات وصدور العديد من الكتب المرتبطة بهذا الموضوع، وكنت أرفض مثل هذه التوجهات لقناعات خاصة، وكنت عندما أطرح رفضي في المحاضرات والندوات التي أشارك بها أو الأحاديث اليومية كنت أواجه بعض الاعتراض، من باب أنه علم جديد ومحاولة جادة لتغيير سلوك الإنسان للأفضل.

كان رفضي لهذه الأفكار ينبع من عدة أوجه:

أولها: أن تغيير سلوك الإنسان وتعديله لا يتم وفق هذه السطحية التي كنت أراها، فإذا كنا نعجز في أحيان كثيرة أن نغير وجهات نظر بسيطة جداً فكيف لنا أن نغير سلوكاً متجذراً في الإنسان وله أبعاد تراكمية زمنية.

والوجه الثاني: يتعلق بأنني لدي قناعة أن لكل ثقافة وشخصية مفاتيح وهي نسبية تختلف من مجتمع لآخر، فكيف يمكن استخدام الاستراتيجيات المتبعة في مجتمعات لها ثقافتها على أفراد يختلفون تماما عن تلك الثقافات.

الوجه الثالث: أن هذه الأفكار والموضوعات قريبة إلى حد ما من مجال علم النفس، ولكن مع الأسف معظم العاملين في هذا القطاع بعيدون جدا عن علم النفس، لذلك فأفكارهم في السيكولوجيا أقرب للأطياف الباهتة التي لا تؤهل صاحبها للخوض في علم النفس بشكل عام ناهيك عن الخوض في أمور أكثر عمقا، الوجه الرابع يتعلق بالواقعية حيث إن معظم تلك الأفكار تركز على الإيحاء الوقتي الذي قد يختفي بنهاية الموقف الذي يتعرض له الفرد حينها.

في سياق هذه الأفكار التي هي أقرب للوهم نشرت مجلة المعرفة السعودية في عددها رقم 143 الصادر في مارس 2007 ، ملفاً كاملاً عن هذه الأفكار وعلاقتها بالخرافة والعلم، ومن ضمن ما ذكر في هذا الملف، عرض يتناول كتاباً صدر في الولايات المتحدة عام 2005 بعنوان: كيف صيرت حركة مساعدة الذات أمريكا عاجزة، وهو من تأليف ستيف ساليرنو، حيث بين أن هذه الحركة وهم زائف خدرت المجتمع الأمريكي مدة من الزمن، وإذا كان هناك نقد ساخر لهذه الحركة في الولايات المتحدة وبأنها ضياع للمال والجهد، نجد أن ساليرنو يرى أن الأضرار أعمق من المال، لأنها دخلت في جميع جوانب المجتمع الأمريكي، بل إنها شملت مجالات الطب والقضاء والتعليم مستغلين حاجة الشركات والناس لتحقيق النجاح.

ويطرح المؤلف (حسبما جاء في مجلة المعرفة) أسئلة مباغتة عميقة، منها أن هذه الحركات مر على ظهورها في الولايات المتحدة فترة من الزمن، فلماذا لم تساعد على حل مشكلات الناس، وذكر أنهم

يتهافتون على الكتب باستمرار دون أن يتحقق لهم النجاح، ومن جهة أخرى يذكر أن مشكلات المجتمع الأمريكي بازدياد، بل إن مروجي هذه الحركة كما يقول المؤلف قد أضروا المجتمع الأمريكي من خلال الأفكار والقضايا الغريبة التي ظهرت على سطح المجتمع، مثال على ذلك السيدة التي أردت الانتحار عن طريق دهس القطار لها، ولكن القطار ارتكب جريمة كبرى لأنه لم يدهسها ورفعت قضية تعويض بلغت 9 و 9 ملايين دولار كسبتها.

من القضايا المهمة التي طرحها المؤلف تمييع معايير الصح والخطأ، فشرب الكحول الذي كان يعد انحلالا خلقيا أصبح الآن مرضا يحتاج إلى علاج، وكل شركة تنهي عمل أي موظف يقوم بمقاضاتها لأنه مريض، بالإضافة للكحول هناك الكذب والسرقة وغيرها عدت أمراضاً من خلال هذه الأفكار، ويضيف المؤلف أن الإنسان وبفعل هذه الحركة أصبح أنانياً يتركز تفكيره حول ذاته فقط دون اكتراث بالآخرين.

الأمر الأخطر في هذا الكتاب عندما يتناول بعضاً من روادها، فيذكر أن هناك دكتورة من زعماء هذه الحركة ليست بدكتورة، تنقد الإباحية وتمارسها، وتنادي بالعلاقات الأسرية وتوفيت والدتها ولم تعلم إلا بعد أربعة شهور، بالإضافة لدكتور آخر يحمل شهادة حصل عليها بالمراسلة من جامعة أغلقت لأنها تقوم ببيع الشهادات.

في نهاية الكتاب يطرح المؤلف بعض النتائج التي ترتبت على ظهور هذه الحركة في المجتمع الأمريكي حيث أثرت على الطب بظهور الطب البديل، كذلك في العلاقات بين الجنسين وأثر ذلك في التعليم الذي تدنى مستواه كثيرا في أمريكا.

بعد هذا السرد المختصر أتصور أنه يمكننا القول بأن هذه الأفكار ما هي إلاّ وهما تم نقله لنا بصورة ممسوخة ونشره بعض المستفيدون منه على حساب الإنسان وكرامته وقيمته وحريته وبالطبع قبل كل شيء إنسانيته.

جريدة الوطن، العدد 11205، الثلاثاء، 3/4/2007

obeikandl.com

الكتابة بين الحب والتوقف

لماذا نكتب؟ سؤال أزلي يتكرر دائما أمام من يكتب، والحديث هنا لمن يملك موهبة الكتابة الحقيقية والإبداعية، وليس الطارئة أو ذات المغزى الشخصي المتكسب، لأن هذه الفئة مقصدها واضح ولا يحتاج إلى تفكير.

من خلال ما قرأنا لكتّاب كثيرين تفاوتت الرؤى، فهناك من يكتب ليسعد الآخرين أو يسعد نفسه وهناك من يحمل هماً أو قضية وهناك من يحلم بتغيير الواقع، إلا أن هناك فئة من الكتّاب ربطت بين الكتابة وبين الحب لشيء ما، أو الكتابة للكتابة بحد ذاتها، وهذا ما أشارت إليه الكاتبة الإنكليزية روز ماري فريدمان التي تقول (كما ذكر على شلش) في كتابه علامات استفهام (إن الكتابة في أولها مثل الحب لا ندري لماذا نمارسها ولا نعرف سر ميلنا نحوها وإنما ننساق إليها دون أن ندري).

في كتابه (هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية) يبرر جورج طرابيشي كتابته هنا بأنها جمع أشتات الأوراق والمقالات القديمة إذا يقول (ففي لحظة بعينها من الحياة وتوقعا للرحيل يجد الكاتب نفسه منساقا إلى الرجوع إلى دفاتره العتيقة...) ص7، هذا يعني أن الكاتب في حالة سباق وخوف من الرحيل وترك بعض الكتابات والأوراق التي يحتفظ بها عرضة للنسيان أو الضياع أو حتى عبث من يأتي بعده.

وإذا كان التساؤل عن الكتابة ومقاصدها صعباً، نجد أن التوقف عن الكتابة أيضا تحتاج لتساؤل آخر، وتوقف يستحق التأمل، لأن هناك من يتوقف أو تقل متابعته لظروف صحية كما ذكر فؤاد زكريا في لقاء معه في مجلة (التسامح) عددها الخامس عشر 2006، أو اعتراف جابرييل ماركيز أنه أصبح عاجزا عن الكتابة.

هناك أيضا من يتوقف عن الكتابة رغم تألقه لأسباب يحددها الكاتب نفسه، وفي هذا السياق كتب الأديب رجاء النقاش مقالا أو دراسة جميلة في مجلة دبي الثقافية عدد مارس 2007 بعنوان (بين الهجرة من الأدب والهجرة من الوطن) يدور حول عادل كامل الذي تألق في ثلاثة أعمال روائية صدر أولها عام 1941 وهي بعنوان ملك من شعاع، ثم يعلن توقفه بسبب قيمة ما يقدمه للناس وحالة الشقاء ولكن الأقسى فيما وصف قوله (... فوجدت أن الأدب في ذلك الوقت أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات من القرن الماضي هو في معظم الأحوال عمل العاجزين أو المنحلين من رواد المقاهي، فعزت على نفسي وجزعت أن يكون هذا مصيري بينما أن صاحب مهنة قضيت زهرة شبابي وأنا أتلقى أصولها حتى أتقنتها وهي مهنة المحاماة).

أطرف حالة توقفٍ قرأتها هي ما ذكرها رجاء النقاش في مقاله سابق الذكر، حالة حسين الجزار، الذي ترك الأدب وفتح محلاً للجزارة وأنشد قائلا:

لا تلمنـي يا سـيـدي شـرف الـدين

إذا مـــــا رأيتـنـي قــــصــــابـا

كـيف لا أشكـر الجـزارة مـا عـشت

حـــــفـــــاظـا وأهـجـــــر الآدابـا

وبـهـــا أضـــحت الـكلاب تُرجـــيـني

وبـالـشــــعــــر كنت أرجـــو الـكلابـا

جريدة الوطن، العدد 11233، الثلاثاء، 1/5/2007

obeikandl.com

obeikandl.com

من يبث الفرح في القلوب

يقول شاكر مصطفى في مقالة جميلة (أنا بيني وبينك أرثى للوجه الجهم، لا أكرهه ولكني أشفق عليه من يبوسته، وملامحه إلى أن يتقلص بعضها على بعض تغريني ببغض الشتاء، الشفة الجامدة التي تخشى على الابتسام أن ينفطر، من عادتي أن أزوي حاجبي عنها، خير لها أن تستقر في الصخر، أن تجد لها تمثالا من المرمر البارد لتموت، وأنا أحب الحياة..... وأنا أعرف بعد أن الفرح كالتجهم، إنما ينبع من قلبي، أنا أصوغه فلا أنتظر طائرا من طيور الجنة أن يحمله لي، ولا نجمة تحط به عند مخدتي، ليس في الناس من لا يملك الفرح، ولكن يجب أن نعرف فقط كيف نفرح، كيف نواجه الألم، أي ألم، بالابتسام الباني وبالثقة من الجولة المقبلة، إن روح النضال إنما تكمن في ابتسامة).

إنها إرادة الفرح التي يجب أن نحملها، لأنها السحر البشري المرتبط بوجود الإنسان منذ الخليقة، فبها يتجاوز الإنسان مواطن الألم، وبها يجدد ذاته ويعيد توازنه النفسي ويتكيف مع كل المتغيرات الحياتية، فحياة الإنسان سلسلة من الفرح والألم وقد يكون بعضها أطول من بعض، ولكن يجب ألا يتوقف عمره عند لحظة الألم، ويجب أن تكون نظرته للحياة أكثر تفاؤلا، وأعمق إحساسا بجمال الحياة، واليقين بأن كل ليل كثيف لا بد وأن يبتعه أمل أفضل وكل لحظة حزن سيأتي بعدها فرح أجمل.

ولكن هذه الإرادة تحتاج أيضا إلى من يزرعها وينميها في القلوب، ويجعلها جزءاً أصيلاً من حياة الإنسان، عن طريق التنوير وبث روح الأمل، بدلا من التهميش والتشويه، والكتابات العدوانية للحياة، وهذا دور الثقافة والأدب والإعلام، لأنهم يملكون نشر وسائل الثقافة المتفائلة بدلاً من التجهم والقنوط وإحباط الإنسان عن طريق تجارب حياتية ضيقة قد تكون خاصة ونظرة سوداوية لكل شيء.

جريدة الوطن، العدد 10881، الأحد 14/5/2006

obeikandl.com

أفغانستان... رحلة عذاب

عام 1747م يعد بداية ظهور أفغانستان ككيان سياسي مستقل، هذا بعد خروج الفرس منها لتتشكل فيها إمبراطورية بقيادة أحمد شاه نوراني، ومنذ ذلك التاريخ تعاقب العديد من الملوك على حكم أفغانستان وكان آخرهم بالطبع ظاهر شاه الذي حكم من عام 1933 إلى 1973، وخلال هذه الفترة بدأت أفغانستان سياسة جديدة تحاول من خلالها إيجاد مكانة سياسية في المنطقة تقوم على سياسة عدم الانحياز، وفى عام 1953 ظهر رئيس للوزراء اسمه محمد داود وهو ابن عم الملك، ولكنه استقال من منصبة عام 1963 ليخلفه محمد يوسف، ليكون أول رئيس وزراء من خارج الأسرة المالكة، وقد حاول أن يوفق بين اتجاهه الغربي وبين الدين الإسلامي والأفكار السائدة في مجتمعة، وكان يطمح لتشكيل الأحزاب ولكن هذه الفكرة لم ترق للملك.

عندما كان الملك ظاهر شاه في إيطاليا عام 1973 حدث انقلاب على الحكم على يد محمد يوسف الذي جعل من نفسه رئيساً للدولة وللوزراء ولوزارتي الخارجية والدفاع، وبعد سنوات قليلة أي عام 1977م قام بتشكيل حكومة مدنية، وفي عام 1978 حدث الانقلاب العسكري الشيوعي الذي قام به بعض العساكر بدعم من الحزب الشيوعي الأفغاني حيث تمت تصفية داود خان مع بعض أعضاء الأسرة المالكة السابقة، بعدها تجدد الصراع على السلطة ولكن

محمد نور طرقي استطاع أن ينتزعها، لتبدأ فترة جديدة من تاريخ أفغانستان، وليعقب ذلك دخول الاتحاد السوفييتي وتبدأ عمليات الجهاد وصراع الأشقاء، حتى آلت السلطة لحركة طالبان.

من يتأمل تاريخ أفغانستان خلال العقود الماضية يدرك حجم المشكلة التي يعيشها هذا الشعب المسكين، فالأمور لم تهدأ ولم تستكن، والصراع السياسي مزق الشعب وجعله يعيش على حافة الفقر، وليتشرد بعضه ويبقى بعضه في دولة عبارة عن أشلاء ممزقة.

الآن وبعد هذه الحرب التي يواجهها الشعب الأفغاني، وشعور العالم كله بأن هناك دولة اسمها أفغانستان تعيش حالة فقر وعذاب دام لعقود، كيف ستكون هذه الدولة؟ وما الشيء الذي يمكن أن يقدمه العالم لها ؟ هناك أكثر من سيناريو حول السلطة وعلاقات أفغانستان السياسية المستقبلية يصعب الآن تصورها بسهولة لتعقد حالة الصراع الدائر داخل أفغانستان، إضافة للخراب الذي زاد من مأساة وتخلف أفغانستان.

ولكن كل ما نأمله أن تنتهي معاناة هذا الشعب المسكين.

جريدة الوطن، العدد 9230، الإثنين 22/ 10/2001

obeikandl.com

الدور الكبير للصحافة

في زمن الرئيس السوفييتي الأسبق بريجنيف، كانت هناك نكتة تردد بشكل كبير تقول هذه النكتة إن جنكيز خان وهولاكو ونابليون وقفوا ذات يوم بالساحة الحمراء يتأملون العرض العسكري الروسي المبهر، لحظتها قال جنكيز خان: لو كانت عندي هذه الدبابات لاحتللت آسيا في أسبوع، وقال هولاكو لو كانت عندي هذه الصواريخ لأصبحت سيد العالم في أسبوع، الوحيد الذي لم يعلق على العرض العسكري نابليون، لأنه أمسك بصحيفة البرافدا وقال: لو كانت عندي هذه (يقصد الصحيفة) لما عرف أحد بهزيمتي في واتلر لو.

طبعاً صحيفة البرافدا كانت الصحيفة الرسمية للحزب الشيوعي، والمعنى هنا واضح جدا لأنه يتعلق بمدى وصول الحقائق والمعلومات للآخرين ولاسيما الشعب، من هنا يبرز الدور الكبير الذي تمارسه الصحافة في نشر الوعي أو تغييب الوعي لدى الشعب، ولا أحد ينكر أن تطور الصحافة يعكس وبشكل واضح تطور المجتمع ولن يكون هناك تطور للصحافة دون حرية حتى لو كانت هامشية لأن أي ضوء للحرية أفضل بكثير من ظلام الكبت ومصادرة الآراء.

ولكن الحرية الصحافية تحتاج قبل كل شيء لمسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى ثم أمام الشعب، فممارسة الحرية دون ضوابط تكون أقرب للفوضوية، وكلما ارتقت الصحافة من خلال الموضوعية في

الطرح ساعد ذلك على التنوير، وهذا بحد ذاته يشكل وعياً اجتماعياً كبيراً مما يجعل المجتمع يأخذ صفة الديناميكية ويكون المواطن دائماً على اتصال مع المجتمع مما يكسر حاجز السلبية، كذلك تلعب الصحافة وسيلة ضغط مهمة وفاعلة في تحريك القضايا الاجتماعية وإبرازها مما قد يسهل حلول بعضها.

جريدة الوطن، العدد 9142، الخميس 26/6/2001

obeikandl.com

اليانصيب

اليانصيب صورة من صور القمار، والقمار لا جدال في عدم مشروعيته، ولسنا بحاجة لأن نسوق الأدلة الشرعية بخصوص تحريمه، ومع ذلك نلاحظ هذه الأيام أن اليانصيب أو صور القمار بدأت تظهر بأشكال مختلفة منها عمليات شراء الأوراق أو التذاكر والبحث عن الرقم الفائز، وانتشار مثل هذه الصور مسألة خطيرة جدا، خصوصا أن أغلب الناشئة بدؤوا يدمنون على البحث عن المال وبطريقة تقترب من الهوس.

في هذا الموضوع نشر «محمد قاسم عبد الله» دراسة قيّمة عن (القمار) في مجلة الفكر العربي في عددها 87 عام 1997، هذه الدراسة تحتاج منا إلى تمعن واستفادة قصوى مما تتضمنه، فبعد أن يقدم لمحة تاريخية بسيطة عن القمار، يصنف المقامرين إلى:

المقامرة العادية: وهي التي يتخذها المقامر على أنها نوع من التسلية وشغل وقت الفراغ وقد تكون للهروب من أعباء الحياة أو تأكيد الذات وحب المخاطرة.

المقامرة الاحترافية: وهي تختص بالمقامر المحترف وتصبح مهنة بالنسبة له ويمتاز بالمهارة والمعرفة الجيدة كما أنه يزاولها بأعصاب باردة ودون توتر.

openkandil.com

المقامرة القهرية: وهي نوع من المرض النفسي لأن المريض أصبح مدمناً على اللعب ولا يستطيع أن يتحكم في سلوكه.

بعد أن يقدم التفسير النفسي لحالة المقامر، يعرض بعضا من الآثار المترتبة على القمار منها: أن الآثار تكون على الفقراء أكثر من الأغنياء لأنها تؤدي إلى تدميرهم، وقد تحدث بعض المشكلات الاجتماعية مثل الطلاق والإفلاس والإحباط وإدمان المخدرات والكحوليات إضافة للشعور بالعزلة والقلق العصبي، وقد يؤدي أيضاً إلى بعض الآثار الاقتصادية مثل البطالة وضعف الإنتاج وغيرها من المشاكلات التي تنشأ عن القمار.

فهل ننتبه لهذه المظاهر ونكافحها ونحصن مجتمعنا من آثارها حتى لا تستشرى ومن ثم تصبح المعالجة أصعب وكما يقال (النار من مستصغر الشرر).

جريدة الوطن، العدد 8741، الجمعة 16/6/2000

obeikandl.com

عصر السرعة القاتل

نحن في زمن السرعة، السرعة في كل شيء في الفكر والسير، حتى في اتخاذ القرارات، في البحث عن المستقبل وتجاوز اللحظة والحاضر، والحديث هنا ليس عن السرعة في قيادة السيارات فقط، لأن السرعة أصبحت الشيء المحسوس في حياتنا، لذلك كلنا نشكو من السرعة، مما جعلنا نبحث عن لحظة هدوء وتأمل، ولكن هل العالم أو كل من حولنا يقف معنا. هل توقفنا يجعل من حولنا يتوقف مثلنا؟

هذه القضية ليست جديدة بالنسبة للعالم لأن هناك من رصدها بعد أن لاحظ أثرها في نمط حياة الإنسان، وهذه الملاحظات كانت من قبل المفكرين وعلماء النفس والاجتماع، بل كل المجالات لما تضمنته من هدم لجوانب مشرقة بالنسبة للإنسان وما ترتب عليها من تغير في نمط سلوكه وفكره، لدرجة أنها أصبحت تشكل تحدياً واضحاً وسافرًا له، مثلا كتب الروائي التشيكي (ميلان كونديرا) رواية سماها البطء، يدعو من خلالها للتوقف والتخفيف من السرعة القاتلة في حياتنا، حتى الوجبات الغذائية أصبحت وجبات سريعة وكأن الإنسان في صراع مع السرعة في انتظارها والتهامها، مما جعل بعضهم ينادي بأن تخفف حتى من سرعة هذه الوجبات، وكان التساؤل هنا هل الوجبات جاءت متسقة مع طبيعة السرعة، أم أنها فرضت علينا السرعة.

من أكثر من نادوا بهذه الفلسفة الجديدة، و أعني فلسفة التخفيف من سرعة إيقاع الحياة الأمريكي (إدوارد هال) من خلال كتابه (رقصة الحياة) الصادر في عام 1983، حيث طلب من الناس أن يقللوا من ساعات العمل، وأن يغيروا من نمط معيشتهم، فالحياة أجمل وأروع مما نقوم به من قتل للزمن عن طريق سلاح السرعة.

ولكن لماذا الحرب مع السرعة؟ وما أثر ذلك في سلوكنا؟ المسألة تتعلق بحساب الزمن. فالسرعة تجعل الإنسان أحيانا يضع زمناً خاصاً به، وبذلك كأنه يختصر كل المسافات والزمن، ويصبح دائما في حالة جري مستمرة نحو كل شيء، وأي شيء يعوقه عن تحقيق هدفه يصبح شيئا مريعا بالنسبة له، وبذلك تكون بعض القرارات التي يتخذها غير واقعية وغير مدروسة بسببها، الشيء الآخر حالة القلق والتوتر التي تصاحبه خلال مراحل عمره تجعله عرضة لكثير من الأمراض السيكوماتية وغيرها، لأن الإنسان ومع هذا النمط من الحياة أو السلوك ينسى نفسه وفجأة قد يكتشف أنه أفنى عمره في صراع عبثي مع الزمن وكل هذا على حسابه هو.

إذن لنخفف من السرعة في كل شيء حتى لا نخسر كل شيء.

جريدة الوطن، العدد 9369، الخميس 14/3/2002

obeikandl.com

معسكر الأرامل

من يقرأ معاناة الشعب الأفغاني المسكين، لابد وأن يشعر بالألم وكلما كانت القراءة ذات بعد إنساني شعر الإنسان بضآلة نفسه، وكلما اكتشف كم أنه جائر عندما تتساوى قيمة الإنسان بالرصاص، بل إن الرصاصة الواحدة أحيانا قد تكون أغلى من الإنسان نفسه لدى منتهكي القيم والثوابت الأخلاقية.

كل هذه الصور الأليمة، وكل المآسي التي مرت على الشعب الأفغاني، صورتها لنا الكاتبة والروائية الأفغانية (مرال معروف) في كتاب لها صدر حديثاً بعنوان (معسكر الأرامل)، حيث نقلت وبمشاهد مؤلمة معاناة المرأة الأفغانية أثناء الغزو الروسي، كيف أصبح هناك معسكر كبير في باكستان خاص بالأرامل ممن فقدن أزواجهن أو أبناءهن بسبب الغزو أو التصفية الجسدية مع جيش الحكومة، لنا أن نتصور حجم المعاناة وكمية الألم، والدموع الغزيرة التي ذرفتها الأم المكلومة أو الزوجة جريحة المشاعر أو الأخت التي أصبح لا عائل لها ولا أسرة، لنا أن نتصور كيف تموت الأحلام الوردية التي تحملها كل امرأة بشأن زوجها أو ولدها.

لقد أبدعت مرال معروف بنقل تلك الصور والكتابة عنها، وكم يصاب القارئ بالذهول من القسوة التي كانت تمارس حتى في إطار الأسرة الواحدة وليس الشعب، وكم نستغرب من حالة الوحشية لدى البعض من الشعب الأفغاني نفسه تجاه بعضه بعضا.

لكن ما يعيب الكتاب الترويج لبعض الأفكار التي تتعلق ببركات الأضرحة وما يدور حولها من أفكار ومعتقدات، خصوصا عندما حاول أحدهم هدم الضريح وأنه تعرض لأذى وغيرها من تلك الأساطير، وإذا كنا نستغرب أن الشعب الأفغاني عانى وذاق مرارة القتل طوال عقد من الزمان حتى حقق الله نصرهم بخروج الروس من بلدهم، كيف عادوا هم أنفسهم للقتال فيما بينهم خلال حرب طاحنة قاتلة أكلت الأخضر واليابس.

جريدة الوطن، العدد 9448، السبت 1/6/2002

obeikandl.com

الأنثى مصباح الكون

الأنثى مصباح الكون، كتاب ألفه محيي الدين اللاذقاني، وهو عبارة عن أفكار متناثرة أو أشبه بالخواطر، يطوف بها المؤلف حول مكانة المرأة في كل العصور، ويختار من الحوادث ما يشاء ثم يعلق عليها كيف يشاء.

من أطرف ما ذكره المؤلف حكاية الوزيرة اليونانية ميلينا ميركوري، التي دافعت عن زواج إندرياس باباندريو رئيس وزراء اليونان السابق من مضيفة الطيران، كذلك دعمها لفكرة عواصم الثقافة في أوروبا، من الأمثلة التي سطرها المؤلف قصة الكاتبة الفرنسية كلودين كوليت، وكيف سرق زوجها حقها الأدبي ليحصل على شهرة كبيرة بسبب ما كتبته من روايات وكيف تحولت بعدها إلى راقصة، ثم كانت وفاتها.

الأمثلة في الكتاب كثيرة، ومتنوعة جداً، والمؤلف هنا يحاول من خلال سرده لتلك القصص والأمثلة رد الظلم عن المرأة والدفاع عنها، والوقوف ضد كل من يحاول اضطهادها ومصادرة شعورها الإنساني، لدرجة أنه يذهب في بعض صفحاته بعيداً في الدفاع عنها، وهنا حقيقة أتساءل هل مازلنا نحمل مثل هذه الأساليب؟ وأقصد بذلك الكتابة وبكل حماس عن قضايا المرأة، وبهذا الشكل علماً بأننا قد نحمل أفكارا مختلفة، لماذا نجد أن بعض الرجال يدافعون عن المرأة نفسها، وكأن كل النساء يعشن في جحيم؟ شيء ملفت للنظر فعلاً تمر

سنوات طوال ونحن مازلنا نسمع الكلام نفسه، العبارات ذاتها التي تتحدث عنها وهي (الاضطهاد، حقوق المرأة السياسية...) أما وسائل اضطهاد المرأة وعرضها كسلع دعائية وتسويقية لا يتم الحديث عنها بالقوة والأسلوب نفسه، وكل دعوة للأسرة والتربية القويمة يعدها بعضهم دعوة متخلفة، أما الدعوات الأخرى فهي تقدمية ويتم لفها ووضعها تحت أي مفهوم آخر، وهذا كله يرجع لنسبية الأشياء في حياتنا، فما يعد هناك معيار قيمي ثابت لدرجة أنه أصبح لكل منا معيار خاص، مما جعلنا نختلف حتى في أبجديات الأمور ونصل لدرجة كبيرة من الأخذ والعطاء حتى في أبسط القضايا.

جريدة الوطن، العدد 9572، الخميس 3/10/2002

obeikandl.com

الانتحار السياسي

في يوم 25/11/1970، قام الروائي الياباني الشهير يوكويو ميشيما بمشهد انتحاري فظيع ومثير ومؤلم في الوقت نفسه، حدث هذا في وسط العاصمة طوكيو، وفي كلية الأركان تحديداً، وقد سبق انتحاره خطبة قوية جسد فيها كل ما يريد أن يقوله من أفكار واتجاهات.

خلاصة ما قاله الأديب الياباني الرفض التام للهيمنة الأمريكية على اليابان، والعودة للتقاليد اليابانية العرقية، وأمجادها العسكرية، ورفض الدستور السلمي الذي فرض عليها، وبعد تلك الخطبة غرز السيف في أحشائه، ليموت على طريقة الساموراي اليابانية، لتعقب هذا الانتحار ضجة عالمية كبرى، فالمنتحر أديب مشهور وله مكانته، وهذا أيضا ما جعله مادة دراسية لبعض السيكولوجيين، ليصل صديقه ودارس حياته الصحفي الإنكليزي هنري ستوكس إلى أن ميشيما كان يعانى من الشذوذ، ولتدخل مسائل معقدة في عملية الانتحار.

هذا الانتحار كان انتحارا جسديا وسياسيا في كل المقاييس، والانتحار الجسدي هو الانتحار بمفهومنا العادي أما الانتحار السياسي فقد لا يكون جسدياً، فالخروج عن القيم السياسية والمبادئ يعد انتحارا، والقفز على كل المعطيات السياسية ومحاولة اختراقها يعد انتحاراً، لذلك كله أصبحنا نشعر بالضيق والألم مما نشاهده من سقوط كل المفاهيم والشعارات السياسية التي أشبعنا بها بعض المفكرين سنوات طويلة.

ولو تأملنا الممارسات السياسية من حولنا نجد أن هناك الكثير من حالات الانتحار، فكم من شخص خرج عن أفكاره ومبادئه، لينتحر وينتهي سياسيا، وليكون أكثر تطرفاً وقسوة ممن كان ينتقدهم، ماذا نعمل بوصفنا مواطنين تلقينا تربية سياسية تدفعنا دائما للوطنية، واحترام الديمقراطية وتحذرنا من العبث بالديمقراطية وبعد كل هذه السنوات نكتشف حجم الخديعة ولنجد أن من كان يدعي الديمقراطية هو أول من ينتهكها و أننا فعلاً أصبحنا نشعر بحالة اغتراب في فكرنا السياسي.

جريدة الوطن، العدد 9492، الاثنين 15/7/2002

obeikandl.com

الكتابة تحت المطر والرصاص

هل بإمكان الإنسان أن يسير تحت وابل من المطر ووابل من الرصاص؟ هل بالإمكان استقبال حبات المطر وتحاشي الرصاص؟ أتصور أن المسألة في غاية الصعوبة حتى النملة لو سارت بين هذا وذاك لن تستطيع.

هذا الموقف أو هذه الصورة تشابه إلى حد كبير الكتابة الصحفية في هذا الزمان لأنها قد تكون مبدأ وقضية لدى بعضهم، وقد تكون ترفاً ورفاهاً لبعضهم الآخر، أو حتى مجرد إضاعة للوقت لدى أناس آخرين، وأمام هذه المعطيات كيف يمكن السير بالكتابة وإلى أي طريق يمكن أن يصل الكاتب؟ هذا مع التأكيد على أن الكاتب قد يكون يحمل خنجراً مسموماً يؤذي به خلق الله، وقد يكون قلمه كالريشة التي ترسم اللوحة الجميلة، أو أن قلمه يقطر منه مداد الإصلاح والتنوير، وهنا يكون دور الكاتب ودور المتلقي ودور الناشر الذي يحدد المقالة أو الكتابة وإن كان عذر بعضهم أن الناس تريد هكذا، وهذه مشكلة كبرى أن يعكس الناشر وبكل وسيلة وجهات نظره الخاصة على جميع الكتاب إن لم تكن هناك مصادرات واضحة لبعض الكتابات.

المشكلة الأخرى أيضا تتعلق بالكتاب أنفسهم، فقد تكون المقالة إضافة لما ذكرنا سابقا تحقيقا للذات أو على أقل تقدير إكمالاً لها أو بحثاً عنها، وسوف تختلف بالطبع طريقة الكتابة وتختلف أيضا ردود

الأفعال هنا، كما أن الكاتب أحيانا يملك قدرات كبيرة غير ترتيب الألفاظ وإيصال الأفكار، هذه القدرة تتعلق بطريقته لتجاوز الممنوعات والرقابة التي قد تحد من انطلاقات قلمه، على سبيل المثال أراد كاتب أن يصف لصديق له خارج بلده الأحوال في ذلك الوطن فخط له رسالة كلها سلام وعبارات عادية جداً ولكنه كتب التاريخ بطريقة كان لها مغزى كبير جداً فبدلاً من أن يكتب 1999 كتب 1899عندها فهم صاحبه أن البلد رجعت مئة سنة للوراء، هذه القدرة ليس كل كاتب يستطيع أن يمتلكها وإن كان من سلبياتها أنها لا توجد حيث توجد الديمقراطية.

إذاً الكتابة شكوى وجهاد وقد تكون نوعاً من الأنين الخفي ولكنه يظهر من خلال الأفكار، على الرغم من أنه في السابق كانت الأفكار أغزر من الأحبار واليوم أصبحت الأحبار كالمحيطات ولكن أين الأفكار التي تنبثق من الوعي والإحساس والقدرة على التمييز والتميز لأن هذه الجوانب تذوب في بحر اللامعقول وتتلاشى من أبجديات الكلام شيئا فشيئا حتى تتسع الهوة بين الوعي واللاوعي، عندها لا نعتب على ما نقرأ وما نكتب.

جريدة الوطن، العدد 8333، الخميس 29/4/1999

obeikandl.com

الوثائق البريطانية

طرحت دار (الساقي) قبل سنوات قليلة مشروع ترجمة الوثائق البريطانية المتعلقة بالجزيرة العربية في فترة نشوب الحرب العالمية الأولى والسنوات التي تلتها، وقد قام بترجمتها (نجدة فتحي صفوة) واشتملت الوثائق على مجموعة كبيرة من التقارير والمراسلات.

لاشك أن قارئ الوثائق تنتابه الكثير من الأفكار والمشاعر عن موقف بريطانيا من دول المنطقة وشعوبها وكيفية التعامل مع الواقع في الجزيرة العربية والمنطقة العربية بصورة أشمل، فالوثائق أو أية وثائق لكل باحث نظرة خاصة به لأنه يحدد ما الذي يريده وما الهدف الذي يسعى لتحقيقه من قراءة تلك الوثائق، ولكن أهم ما لفت نظري في بعض الصفحات التي قرأتها الوصف الدقيق لبعض الشخصيات والأسر، لأنها تتناول مجموعة من السمات والتي لا تخلو أحيانا من الطرفة مثلاً «تاجر غني وهو الآن طاعن في السن»، «ملابسه من أرخص الأثمان ولكنه نظيف، كفء وذكي ولكنه يتصرف اعتباطياً»، «لا يتمتع بسمعة حسنة» ذكي متعلم وغير متحيز ولكنه شخص غيور «متطفل، عنيد، تاجر حبوب»، «له لحية تشبه لحية الماعز وفم طويل وشفتان دقيقتان... طماع، يتودد إلى الأجانب»، «عربي جميل الطلعة متوسط الطول.. ولا يظهر بمظهر المغفل على الرغم من أنه ليس ذكياً»، ورث لقبه، وهو مثل والده باب عرب أو وسيط بين الحكومة

والعشائر، رديء الملبس ويسير حافي القدمين عادة، تصرفاته خشنة للغاية، «كبير السن، لا ترجى فائدة منه»

هذه الصفات كتبت حول بعض الشخصيات والمرء هنا يتساءل هل فعلاً كانت معرفة الجوانب الشخصية لسكان المنطقة من العوامل التي ساعدتهم على أن يسيطروا عليها أم، أنها كتابات تشابه بعض كتابات التراث (أدعج العينين، أفلج السنين...) أتصور أن التحليل النفسي لتلك الجوانب أعطى فهما أكثر لطبيعة الشعوب وقد يكون هناك نوع من المبالغة في الوصف ولكنها صورة نقلت وبطريقة تساعد على الفهم لا التضليل، وهنا تذكرت الأوصاف التي كنا نسمعها عن الإسرائيليين ونحن صغار لأنهم كانوا جبناء وأغبياء وعندما كبرنا أدركنا من هو الغبي ومن هو الجبان.

جريدة الوطن، العدد 8424، الخميس 29/7/1999

obeikandi.com

نحن والسرعة

السرعة التي نعيشها والمحيطة بنا جعلتنا نتآلف معها، بل لنعترف أنها طوعتنا لها، فكل شيء من حولنا يسير بسرعة قصوى، لدرجة أننا أصبحنا لا نستطيع حتى أن نفكر في أنفسنا ومن يعيشون معنا، لذلك مُحق من أطلق على هذا العصر عصر السرعة، ليس في المكتشفات والتطورات التكنولوجية وحسب ولكن أيضا في أمزجتنا وطرق تفكيرنا.

لو توقفنا عند أثر هذه السرعة في السلوك الإنساني، لوجدنا أن الإنسان حتى في نمط تفكيره ومشاعره أصبح تحت تأثير السرعة، فالحياة والقرارات والإصلاح وكل شيء يحتاج إلى روية وتأنٍ، ولكن زمن السرعة أخضعنا لطبيعته فأصبحت بعض قراراتنا غير مدروسة ولا تنم عن فهم عميق وتبصر بسبب التسرع في اتخاذها والتفكير بها، ومن ثم تكون النتيجة المنطقية السرعة في التنفيذ ومن ثم الخطأ في التقييم.

من أثر السرعة في السلوك الإنساني أيضا المزاجية والتقلب بين حال وحال، دون وعي منا في مرات عدة، وهذا يرجع لتأثرنا بما حولنا من تسارعٍ، فقد يكون الإنسان في حالة هدوء تام ومزاج مرتاح وفجأة ينقلب ليتحول إلى النقيض الآخر، وهذا بالطبع له أثره في صحة

الإنسان النفسية وحتى الجسمية فالاحتراق الذي يمارسه بهذا الشكل لا بد وأن يكون له الأثر السلبي فيه.

أيضاً من الآثار التي أصبحت متغيرة ومتسارعة العلاقات الإنسانية، فلم تعد تتصف بالديمومة أو أنها تستمر فترات طويلة كما كانت في السابق، ولكن التغير والاختلاف أصبح أكثر من الثبات والائتلاف.

من الطبيعي أننا لا نستطيع أن نوقف حركة الحياة، ولا نستطيع أن نتحكم بزمن السرعة، ولكن من المقدور أن نتعلم مهارات العلاقات الإنسانية وإعادة النظر للذات ولها حتى نستطيع أن نعيد للعلاقات الإنسانية بعضا من طبيعتها.

جريدة الوطن، العدد 10513، الأربعاء 11/5/2005

obeikandl.com

أدب الرفض

كلما كانت الأعمال الأدبية لصيقة بالإنسان ومشاكلاته مع الحياة كانت أقرب للنفس وأعمق أثراً، لذلك نجد غالبية ما خلده التاريخ من فنون أدبية (شعر ـ رواية ـ قصة....) كانت تحمل هذا البعد، لأننا حتى لو افترضنا أن هناك أدب تسلية وأدب ترفيه إلا أن ذلك لا ينفي بأي حال من الأحوال القيمة الإنسانية والمعنى الكبير الذي ينشده الكاتب لحظتها، فقد يكون عمله رسالة عامة، وقد يكون تحذيراً أو تنبؤاً، والأجمل بالطبع عندما يكون رفضاً قاطعاً لوضع خاطئ، علما بأن هذا الرفض قد يكلف الكاتب حياته وعيشه الرغد.

الكاتب الألماني فولفانج بورشرت من الكتّاب الذين رفضوا واقعاً خطأً تجلى بوضع نازي طاغٍ يقود الشعب إلى الهلاك، لذلك كانت حياته قصيرة جدا بحجم ما تركه من أدب، فهو من مواليد عام 1921 في مدينة هامبورغ وتوفي عام 1947 في بازل بسويسرا عندما ذهب لها طلبا للاستشفاء.

في بداية حياته كان يكتب محاولات شعرية وإن كانت لديه رغبة عارمة في التمثيل إلا أن والده رفض ذلك وألحقه بائعا في إحدى المكتبات، ولكن كل هذه الأحلام ضاعت عندما استدعي وهو في الثامنة عشرة من عمره لخوض غمار الحروب النازية ليحمل رفاقه في شاحنات ومن ثم يتركوا في جبهة القتال ليتعرض لمرض خطير

أثّر في صحته، وكان حظه من السجن كبيراً، فقد دخله أكثر من مرة بسبب نكات سياسية سمعها أو رأي قاله حول الحرب أو السلطة، لتكون هذه التجربة دافعا ليكتب أدباً إنسانياً رافضاً للحرب، وليشكل الموت فكرة أساسية في أعماله، لأن الموت بسبب الحروب وطغيان الإنسان يصبح غير ذي قيمة فالبعد الأخلاقي يغيب تماما لدى من يمارس لعبة الموت ضد الآخرين، من أهم أعماله: الجليد الكثيف ـ يسوع يرفض الاستمرار ـ شَدْوَ البلبل ـ القطة تموت متجمدة ـ الملوك السمر الثلاثة.

بتصوري هذا النوع من الأدب الرافض يشكل لبنة أساسية للإصلاح، ويقدم صورة مرعبة للوضع الخطأ، وفي المقابل يقدم شيئا مغايراً للخطأ سواء في نقده أم في خلقه، وهذا بالطبع عمل لا يقدر عليه إلا من يمتلك الموهبة ثم الفكر الراقي الذي ينظر للواقع بنظرة فاحصة بعيداً عن النظرة الأحادية للأشياء.

جريدة الوطن، العدد 10479، الخميس 7/4/2005

obeikandl.com

من يعي نفسه

في روايته الخلود يذكر الكاتب التشيكي ميلان كونديرا عبارة جميلة يقول فيها (جميعنا في جزء ما من أنفسنا نعيش وراء الزمن، ربما أننا لا نعي عمرنا إلا في لحظات استثنائية وأننا معظم الوقت أشخاص بلا أعمار).

بليغة عبارة كونديرا ولها طابع فلسفي وجودي تجعلنا نقف مع أنفسنا والنظر لموقعنا وشعورنا بالزمن، لأن الإنسان في رحلته مع الحياة يتناسى عمره في لحظات ما، إما هروبا من حسابات الذات، وإما تجاهلاً لواقع يعيشه ويحاول أن يفلت من قسوته، لذا نجده في حالة قد تبدو أحيانا شعورية وأحيانا لا شعورية يقع تحت تأثير هذا الهروب، أو كما يسميه كونديرا الاختباء أو العيش وراء الزمن، وكأننا نفترض أننا نعيش زمناً آخر، أو أننا نرفض الزمن الواقعي، فعلى قدر الوعي يكون الإحساس بالزمن.

مهما حاولنا تفسير هذه الحالة سواء من خلال ما ذكرته في السطور السابقة، أم من خلال افتراضات أخرى، يبقَ إحساس الإنسان ووعيه بذاته مرهوناً بقدرته على التعايش والعطاء والاندماج مع المجتمع، وهذا كله لا يتأتى إلا بعد أن يجعل لنفسه قيمة وأهمية، فبدون هذا الشعور لن يحقق ذاته.

المشكلة التي قد تواجه من يحاول تحقيق ذاته ووعيه بنفسه هي الآخرون، فمنهم من يحاصر شعورنا الجميل بالزمن والحياة والوعي، بل إن بعضهم يتطرف ويقسو عندما يمارس قهره، وعلى قدر قسوته تكون رؤيته وتعامله، لذا تجد منهم من يحاول إقصاءك حتى عن دائرة اهتمامه على الرغم من أنك ترتبط معه في علاقات عمل أو جيرة أو صداقة أو حتى في نطاق الأسرة، وكل من يحمل عمقاً إنسانياً وطبعاً هادئاً يكون أول الضحايا، وبذلك نجد أنفسنا مضطرين للاختباء خلف أسوار الزمن حماية للذات من أي ضرر يلحق بها وهذا أقصى حالات الوعي بالذات.

جريدة الوطن، العدد، 10504، الاثنين 2/5/2005

obeikandl.com

المتدلي

ما الذي يمكن أن يقوم به الإنسان عندما يواجه كثيرا من ضغوطات الحياة ؟ سؤال قد يكون به بعد فلسفي ولكن الجانب النفسي والاجتماعي يكون أكثر وضوحا، فقد ينسحب من المجتمع ويتقوقع حول الذات، أو أن يكون سلوكه عدوانيا وتدميريا لكل شيء أمامه سواء البشر أم الأشياء، وبالطبع تختلف حدة ونوعية الانسحاب أو العدوان، حسب أيضا حالة الشخص ودرجة الإحباط.

الكاتب الأمريكي صول بيللو الفائز بجائزة نوبل عام 1976م، كتب رواية شهيرة بعنوان المتدلي (هكذا قرأت عنها) والتي لم أطلع عليها، ولكنني قرأت مقالاً حول الكاتب نفسه ورواياته ولكن لفت نظري كلمة المتدلي، والتي تعني المتعلق بين الأشياء، وكأنها ترمز لحركة بندول الساعة، ويفترض صول في هذه الرواية، أن هناك شخصاً قست عليه الظروف وتكسرت إرادته أمام الواقع المرير، فما كان منه إلا الانسحاب الاختياري الذي وإن كان اختيارياً إلا أن هناك أبعاداً موضوعية دفعته له، والشعور بأنه معلق بين الأشياء، ثم بدأ بالثرثرة والتنظير بعيداً عن الواقع.

قد تكون فكرة الرواية مكررة، وهذه مسألة طبيعية لأن السلوك الإنساني نفسه مكرر، على مر الزمان، ولكن اختلاف الثقافة والعوامل المسببة لحالة الارتداد هذه نسبية، مما يجعل السلوك له خصوصيته

الزمانية والمكانية، ولكن الأجمل دائما عندما تصاغ بشكل رواية أو قصة أو أي عمل أدبي آخر، وكلما كانت العبارات سلسلة ومتناغمة مع الجو النفسي أعطاها بعداً أجمل.

وإذا كانت هذه الرواية صورت حالة فردية لإنسان، فكيف نستطيع أن نصور حالة التدلي عندما تجتاح كثيراً من الناس، في أجواء نفسية متعبة بل ومحبطة، وعندما تكون وسائل الإعلام تلحق بالإنسان أضراراً نفسية جسيمة في وقت يجب أن يكون دورها أفضل.

وكيف لنا أن نتخيل حالة التمزق النفسي والاغتراب التي تمد جذورها في أعماق المجتمع، هل نقف ونصمت أمام هذه الأحوال، الإجابة بالطبع لا، وهنا يكون دور المجتمع بوسائطه التربوية كافة، في التعامل مع حالات الإحباط وعدم القدرة على مواجهة الوقائع والمتغيرات، ومن جانب آخر لا بد من البحث دائما عن نقاط الضوء في أفق الظلام الكثيف، والحديث عن فلسفة الأمل مهما كان عمق الألم، وإلا نكون أهدرنا جهدًا بشرياً كبيراً هذا عدا الآثار السلبية التي قد تحدث في وسط المجتمع.

جريدة الوطن، العدد 10190، الجمعة 18/6/2004

obeikandl.com

مالرو وعصر القلق

أندريه مالرو أديب وسياسي فرنسي مميز، عاش في عصر ديغول الذي أعطاه وزارة الإعلام ثم وزارة الثقافة، وشيء طبيعي أن تتميز تلك الوزارتان، لأن قائدهما أديب وفنان ومفكر قبل أن يكون سياسياً، وعندما دخلت القوات الألمانية فرنسا كان له دور كبير إلى جانب جان مولان الذي قاد المعارضة إلى أن سقط بيد النازيين.

هذه الحياة التي عاشها مالرو كانت مغلفة بمآس جمة، لأن الموت كان حاضراً كثيراً في لحظات عمره حيث مات جده ووالده منتحرين، وطالت يد النازية أخاه، ثم كانت وفاة زوجته وابنه، وهذا ما دفعه دائما لحب المغامرة والبحث عن أماكن التوتر والقلق، وأعطاه ذلك بعداً أدبياً كبيراً، ولا عجب في ذلك، فالأديب عندما يملك القدرة على التكيف ويعيش ظروفاً صعبة وشديدة الوطأة لا بد وأن يكون حساساً في كل شيء، وكان هذا هو مالرو.

ما لفت نظري وأنا أقرأ عن مالرو نقطتين، **الأولى**: إن وزارات الإعلام والثقافة والتربية وغيرها، عندما يقودها مفكر وأديب وطني حتماً ستؤتي ثمارها وسيحفر اسمه في سجل الخالدين، وتكون بصماته موجودة على مر العصور لأنه يملك مقومات النجاح.

النقطة الثانية: لا شك أن مالرو عاش فترة عصيبة جدا في تاريخ أوربا على وجه العموم وفرنسا على وجه الخصوص، هذا عدا المصائب التي عاشها على مستوى الأسرة، وكل تلك المشكلات كانت

حاضرة ومباشرة في حياته وهذا ما أكسبه خاصية أدبية وفكرية معينة، ولكن ماذا عساه أن يفعل وماذا سيكتب لو كان في فرنسا الآن، في عالم أصبح التوتر والقلق أكثر عمقاً وأبلغ أثراً، ولا يعرف من أين سيأتي الخطر، هل من الداخل أم من الخارج، وهل سيكون الخطر فقط على الجوانب المادية أم المعنوية، في عصر اهتزت الثوابت وأصبحت القضية الأمنية تؤرق الجميع، فكانت الثقافة أهم مناطق الخطر وأكثرها عرضة للتأثر بسبب التطور المعرفي والتكنولوجي.

كنت أتمنى أن يكون لدينا أدب وفكر يعكس هذا العصر ويقدمه على شكل أعمال أدبية وفكرية راقية، مع نقاط ضوء وحلول تطرح، لمعالجة قلق عصرنا، وتوجيه العقول الوجهة السليمة لعلنا ندرك واقعنا وكيف تسير ثقافتنا ومن يحكمها.

جريدة الوطن، العدد 10196، الخميس 24/6/2004

obeikandl.com

الإعلام بين العام والخاص

في عددها الأخير (يوليو) 2004، نشرت مجلة الثقافة العالمية مقالاً مترجماً لجين سيتون، ترجمة صفاء روماني، تحت عنوان (العام والخاص ووسائل الإعلام) فكرته تدور حول اقتراب وسائل الإعلام من الحياة الخاصة والعامة للمشاهير، ولاسيما الساسة، وكيف كان أثر ذلك في مجريات حياتهم، أو افتراض ما سيحدث لو كانت هناك وسائل إعلام بقوة اليوم، والحديث هنا عن فترات سابقة في القرن العشرين، وكان التركيز في غالبه على السلوك الجنسي والإدارة المالية والأسرية للشخصيات مثل روزفلت وتشرتشل ولويد جورج وماكميلاند وكليمت آتلي وويلسون وغيرهم، من طريف ما ذكر في المقالة أن الرئيس الأمريكي روزفلت كان معوقاً، فلو كان الإعلام التقط له صوراً على الكرسي المتحرك في ذلك الوقت لما نجح في الرئاسة.

موضوع المقال جيد وإن كان قد طرق أكثر من مرة، لأننا أصبحنا فعلا نقف كثيراً أمام هذه القضية، وإلى أي حد يمكن أن يقف الإعلام ما بين العام والخاص في حياة الناس، لأننا ندرك أن خصوصية الناس حق لهم، واقتحامها يعد تعدياً عليها، وهذا ما نلاحظه في أيامنا هذه، حيث يتم تناول قضية تتعلق بسياسي أو فنان أو لاعب.... إلخ، وتحلق بالآفاق، متناسين الضرر الأدبي والنفسي الذي قد يقع على كاهل الشخصية وأسرته، إذا بالطبع إذا افترضنا صحة ما كتب، لأن

الافتراء أحيانا يفوق الوصف، أو أن وسيلة الإعلام تتمادى بصورة ثقيلة، مثلا قرأت خبراً في مجلة حول فنان شوهد على مدرجات كرة القدم وزوجته في المحكمة تطلب الطلاق، هنا يحق لنا أن نتساءل ما يهمنا نحن، وما المشكلة التي يريد أن يصل إليها الكاتب، ثم إن هذه مشكلة أسرية خاصة يجب أن نحترم مشاعر أطرافها.

كثيرٌ ما يتم الحديث عن خصوصيات الآخرين من باب السبق الإعلامي، وهذا كلام عليه أكثر من ملاحظة وعلامة استفهام، فالسبق لا يكون على حساب الناس وإلحاق الضرر منهم ولاسيما المشاكلات الأسرية الخاصة، فقد يزيد التسليط الإعلامي من حدة المشكلة ويمنع كل سبل الحلول عنها.

جريدة الوطن، العدد 10223، الأربعاء 21/7/2004

obeikandl.com

مسؤولية المثقفين

في مقال نشره الدكتور أحمد أبو زيد في مجلة الديمقراطية في عددها (18) الصادر في إبريل 2005، بعنوان (المثقفون والسلطة) ينقل من خلاله آراء كتّاب صحفيين كبار حول المثقفين ودورهم الواقعي والمأمول، أشار من خلاله إلى مقال نشر في جريدة الصندري تايمز البريطانية بقلم ديفيد أرونوفيتش بتاريخ 12/9 /2004 حيث يرى أن صمت المثقفين على الأوضاع يعد موافقة ضمنية على الأحداث، كذلك يشير أرونوفيتش في ذات المقال، إلى كتاب نشره فرانك فيرودي بعنوان (أين اختفى كل المثقفين) الذي قال إن مثقفي بريطانيا ومفكريها الباحثين عن الحقيقة اندثروا وحل محلهم نوع آخر من المثقفين يعملون على اكتظاظ الجامعات بطلاب لا يقرؤون ويثيرون خطباً سياسية صاخبة خالية من المعنى كما يساعدون على استبدال الخبرة الضيقة المحدودة بالنظرية الواسعة العميقة واستبدال التفاهة والضحولة بالامتياز والنبوغ، ثم يتساءل فيرودي من المسؤول عن حالة التدهور في الثقافة، حيث يشير إلى أثر ثقافة أمريكا وإعلامها في العالم إلى جانب مؤثرات أخرى داخلية.

من يتأمل المقال يجد به كثيرا من الأفكار المركزة والمحفزة والباعثة للتساؤل، من أهمها أين الدور الطليعي للمثقفين؟ لماذا لم نعد نشعر بوجودهم؟ علماً بأن التقدم والتطور بصوره كافة يعتمد على المثقفين،

ولكن مع الأسف لا نلاحظ هذا الدور، وقد يرجع ذلك لغياب مفهوم المثقف الطليعي والعضوي على حد تعبير (غرامشي) المتفاعل مع مجتمعه، والذي يشعر بمسؤوليته الثقافية والأخلاقية، وبذلك يصبح معظم ما يكتب وينقل مجرد كلام ليس له علاقة بمفهوم المثقف المستنير القائد.

من زاوية أخرى نجد أن الطرح السياسي والاندماج والتسويق لأفكار وأحزاب سياسية معينة وليست لأفكار عامة، جعلهم جزءاً من الصراع السياسي وبذلك أصبح دورهم مجرد وسائل نقل وترويج لمضامين وأفكار مأدلجة.

وإذا كانت هذه أوضاعنا وأدركنا طبيعة من يقود الفكر والثقافة فحتماً لن يحدث تطور وتغير فالمسؤولية أكبر وتحتاج لعقول أعمق وأبعد نظراً، وهذا ما يبرر تدهور بعض جوانب الثقافة وغياب الثقافة الحية المتطورة.

جريدة الوطن، العدد10718، الجمعة 2/12/2005

obeikandi.com

اعترافات قناع

يوكيو ميشيما كاتب وأديب ياباني، عاش حياة مضطربة قلقة، ومات بصورة مروعة، ولد عام 1925م وعاش يعاني من بعض الأمراض، وقد برزت موهبته الأدبية وهو في السادسة عشرة من عمره، حيث كتب عمله الأول غابة مزهرة عام 1941، ثم توالت كتبه، وفي عام 1950م كتب مذكراته الخاصة والتي كانت تحمل اسم اعترافات قناع، ليكمل بعدها مسيرته الأدبية، إلى أن كان عام 1970م ليفاجأ الشعب الياباني والعالم كله بصعوده سطح إحدى الكليات العسكرية ليطعن نفسه بالسيف طعنة نافذة، ليموت على طريقة الشجعان اليابانيين (السموراي).

كان مشيميا يبرر الانتحار أو كان ينادي بإعادة الروح اليابانية لشعبه بعد الانكسار والهزيمة في الحرب العالمية الثانية، وقد ثار جدل حول ماهية وحقيقة الانتحار، لتتداخل الأسباب الشخصية بالوطنية، حيث يشير محمد جابر الأنصاري في كتابه انتحار المثقفين العرب، إلى أن صديق مشيميا الصحفي البريطاني هنري ستوكس ذكر في كتابه حياة مشيميا وموته الذي رده إلى حالات الشذوذ التي كان يمارسها، وبذلك تداخلت عوامل الجسد بالعقل بالوطن ليكون هذا الانتحار المريع.

في كتابه اعترافات قناع، يتناول مشيميا سيرة حياته والتي قام بترجمتها كامل يوسف حسين وصدرت في طبعتها الأولى 2004 نقاط

وتفصيلات حياتية، قامت على صراع نفسي، ومعاناة جسدية هائلة، إلى أن قام بذكر بعض التفاصيل المقززة وقد يكون هذا سبب تسمية الكتاب باعترافات قناع، وأخذ المهتمون بدراسة حياته وإعادة تشكيل فهمهم له في ضوء ما كتبه في هذه المذكرات وغيرها من الكتب، والتي يبلغ عددها مئة عمل أدبي.

في تراثنا الأدبي العربي هناك قناع آخر، ولكنه قناع جميل ورائع يعكس الروح العربية الأصيلة، وأعني بذلك محمد بن صفر بن عمير الكندي، والذي يقال إنه كان جميل الوجه، فخاف من الحسد ولبس قناعا، لذلك لقب بالمقنع الكندي، وفي قصيدة تعد من عيون الشعر العربي، أطلق عليها مصطفى طلاس في كتابه شاعر وقصيدة؛ أخلاق الشاعر العربي يقول فيها:

يعاتبني في الدّين قومي وإنما

تدينت في أشياء تكسبهم حمدا

أسد به ما قد أخلوا وضيعوا

ثغور حقوق ما أطاقوا له سدا

وإن الذي بيني وبين بني أبي

وبين بني عمي لمختلف جدا

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم

وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وفي مثل هذا السياق الجميل والقيم العربية الأجمل، تسير قصيدة المقنع الكندي، والذي يستحق أن يكون شاعرا للفضيلة وللخلق الطيب.

وبذلك يبدو لنا مفهوم القناع، فالتقنع فعل إرادي، إما لنداري قبح الذات وسوء السلوك، وإما لنخفي مواطن جميلة في الحياة أو الجسم، وهذا الأمر يدعونا للتفكير حول الوجه الحقيقي الظاهر لنا والوجه الآخر المستتر، ومدى مطابقتهما بعضهما ببعض، وكيف نستطيع أن نتعايش مع هذا الوضع؟ وهل نعد هذا ازدواجية خطيرة؟ ولا يخفى علينا جميعا أننا نصاب أحيانا بالذهول عندما نكتشف الوجه الآخر لبعض الأشخاص، لأننا نكتشف أمورا وأفكارا وسلوكيات تصيبنا بالحيرة وأحيانا القنوط أو الغضب.

جريدة الوطن، العدد 10996، الأربعاء 6/9/2006

openkandil.com

obeikandl.com

وصلنا متأخرين

في دراسة جميلة أعدتها عطيات أبو السعود حول نيتشة وما بعد الحداثة، ونشرتها في مجلة فصول أدبية العدد 63 سنة 2004، ذكرت فكرة طرحها الشاعر الألماني هيلدرلن (1770 - 1843) في قصيدة له، يقول فيها: (آه ياصديق لقد جئنا متأخرين)، حيث توضح أبو السعود أن هيلدرلن يقصد بأنهم أتوا بعد عصر البطولة والقداسة ونعمة الحضور الإلهي في كل شيء على نحو ما تصور في تاريخ الإغريق.

لو تأملنا فكرة الوصول والتوقيت وعلاقتها بالزمن والواقع في حياتنا، لا بد أن نتوقف عند قيمة الوصول وأهمية الزمن والتوقيت، فالتناسب بين الحدث والمواقف أو انسجامها مع التوقيت، يعطيها قوتها ودلالتها المهمة، لذلك نقول دائما بأن هذه الفكرة أو هذا الشخص متقدم على زمنه ومتطور بدرجة كبيرة، أو العكس تماما عندما نقول إن الفكرة أو الشخص متخلف عن الواقع.

والمشكلة عادية جداً عندما تتعلق بشخص أو فكرة أحيانا، ولكنها تتعقد عندما ترتبط بدولة أو مجتمع، فالتطور الحضاري يتطلب دائما التوافق مع الزمن والواقع، وأن تتناسب الأفعال والأقوال مع ما يحيط بها، بحيث تشكل قوة ودفعاً للمجتمع، لذلك كثيراً ما نتألم عندما نجد أنفسنا متأخرين عن التطور الحضاري بمفهومه الفكري والاقتصادي والعلمي لا الشكلي، بل يعد ذلك قصوراً كبيراً في ممارستنا الفعلية الحياتية.

وهذا الوضع يتطلب تخطيطا كبيرا وشاملا من قبل الدولة بتكويناتها كافة، وكل مشكلة نواجهها أحيانا هي نتيجة لموقف خطأ سابق، أو تصور غير صحيح لم يكن مدروسا، وبذلك نكون فرطنا بالزمن وبالتوقيت المناسب للأشياء.

وحتى يتم تفادي معظم الأخطاء أو على أقل تقدير تقليلها يجب أن تكون لدينا تصورات مستقبلية تخطط لها عقول مفكرة وكبيرة لها جهدها وعملها الذي يثبت كفاءتها، وهذا ما تقوم به الدول الكبرى الآن، حيث لديها مراكز متخصصة في الدراسات المستقبلية في شتى المجالات، يقدمون التصورات والحلول والتوقعات، وهذا بالطبع يحد من قوة المشاكلات وأثرها، ولكن عندنا الوضع مختلف، فدائما نصل متأخرين، ولا نشعر بأهمية وقيمة الأشياء إلا بعد أن تقع المشكلة وتتفاقم، ومن ثم تطرح في الإعلام، بمعنى أنها تطغى على الواقع ثم تغيب وتختفي وكأن شيئا لم يكن، لذلك يجب أن نكون متوافقين مع الواقع ولدينا نظرات مستقبلية عملية موضوعية لواقعنا ومشاكلاتنا حتى لا نندب حظنا ونقول إذا حدثت المشكلة (آه لقد وصلنا متأخرين).

جريدة الوطن، العدد 10996، الأربعاء 6/9/2006

obeikandl.com

المناطق المحرمة

في إبريل عام 2000 قامت السلطات الصينية بإحراق أربعين ألف نسخة من رواية شنغهاي بيبي لمؤلفتها وي هيوي، لأنها وبرأي السلطات الصينية كاتبة منحرفة ومنبوذة، وتابعة للثقافة الغربية، وقد اطلعت على الرواية في نسختها العربية التي ترجمتها عن الإنكليزية الشاعرة الإماراتية ظبية الخميس، والتي صدرت عام 2005 عن منشورات الجمل.

الرواية عبارة عن سيرة ذاتية تناقش حياة البطلة أو المؤلفة السرية والعلنية وكيفية خوضها علاقات غير مشروعة، مع وصف مقزز في أكثر من مكان في الرواية، وهذا يبدو أنه سبب المنع الذي طال الرواية وأصبحت محاربة رسمية في الصين، وبالطبع زاد هذا المنع من شهرة الرواية وأصبحت مطلوبة بشكل كبير.

مثل هذه القضايا تكررت كثيرا، سواء في مجالات الأدب كافة أم في قضايا الدين أم السياسة، لذلك استغربت من الحديث عن بعض الكتاب أو الروائيين الذين يتناولون المناطق المحرمة والمقصود هنا في الغالب ما يتعلق بالجنس أو الدين أو السياسة، بل يعد بعض المهتمين أن هذا نصراً كبيراً وفتحاً ما بعده فتح، ولكنني أتساءل هل أصبحت تلك المناطق محرمة فعلا مثل السابق؟ بتصوري أن اسم المناطق المحرمة بات شيئا من الماضي، وجزءاً من تاريخ الشعوب والثقافات،

openkanal.com

ففي السنوات الأخيرة أصبحت الجرأة كبيرة وتجاوزت كل الحدود والممنوعات والمحرمات، فالجنس وقضاياه وإثارة الغرائز قد لا يغيب عن معظم الروايات، بل إن بعضها يتناوله بصورة مقززة وهذا ما كتبته منذ سنوات حول التركيز على الأمراض السادية والماسوشية المتعلقة بالجنس (السادية إلحاق الأذى والضرر بالشخص الآخر، الماسوشية إلحاق الضرر بالذات من قبل الطرف الآخر) في الروايات، وكأنهم لا يجدون إلا الشخصيات التي تعاني من هذا الشيء، ولم يتوقف الأمر عند مستوى الروايات بل تعداه إلى المحطات التلفزيونية الرسمية وغير الرسمية وكيف تعرض تلك المواضوعات بصورة مبتذلة، هذا عدا المواضوعات التي تناقش بصورة صريحة، بل إن بعض البرامج خصصت لتلك الموضوعات، حتى رمضان لم يسلم من تلك البرامج.

المنطقة المحرمة الأخرى التي يقولون عنها هي مواضوعات الدين، وهل سلم الدين من الهجوم والتطاول؟ حتى نعده منطقة محرمة؟! حتى وصل الأمر للنبي ﷺ أو صحابته أو زوجاته ـ رضي الله عنهم ـ جميعا، بالإضافة لتفسير الآيات بصورة خطأ والهجوم على بعض الأحكام الشرعية، فأين المناطق المحرمة بعد ذلك، فما أظن أن بعد التطاول على الدين شيئاً محرماً.

تبقى السياسة هي المنطقة التي يدور حولها نقاش ولغط، فعند الكلام عن السياسية بشكل ناقد سواء لأشخاص أم أحزاب أم أنظمة، تتجدد المشاكلات بين الممنوع قانوناً وبين الممنوع بحكم العلاقات التي تربط بين الدول، وهنا تقوم الثورة أحياناً.

وبذلك يكون واضحا للعيان غياب مفهوم المناطق المحرمة، فالتجاوزات تعدت كل الحدود وكل المناطق ولم يعد هناك ممنوع أو حرام لدى بعض الكتّاب، فلا نفرح بولادة كل أدب أو مقالة تتناول المحظور أو المحرم فالمسألة أصبحت واحدة، ولكن مهما قيل فإن الله بالمرصاد، وكل كلمة نكتبها سنُسأل عنها.

جريدة الوطن، العدد 11006، السبت 16/9/2006

obeikandl.com

obeikandl.com

رحلة فكر

نفكر، نشعر، نثور، نستكين، نسافر، نعود، نتأمل، نتململ..... هذه هي حالنا دائماً البحث عن شيء ما، وفي كل يوم لنا بداية جديدة، من شروق الشمس حتى الغروب، منا من ينطلق لعالم أرحب وأوسع، ومنا من ينكفئ على ذاته... وفي كلتا الحالتين نشعر بوجودنا، هذا الوجود الذي يبرز من خلال إدراكنا للزمن ومعانيه.

يا الله... كم نشعر أحيانا بأننا ضعفاء أمام بعض الأفكار ولا أغالي أيضاً أم بعض الأشخاص، وهذا الضعف ينبع من قناعتنا بأهمية هذه الأشياء أو هؤلاء الأشخاص في حياتنا، ولأننا ندرك قيمة الحياة والنظر لها من خلال تلك الأشياء وهؤلاء الأشخاص. وبالطبع هناك من يستحق وهناك من لا يستحق.

كل ليل بالنسبة لي رحلة، أحيانا تكون سعيدة وأحيانا رحلة ألم وحزن، ومن خلال هذه الرحلة نقطع مسافات الزمن، وهذه المسافات تقطع من أوراق العمر، وبين المسافات والليل نبقى ونترقب رحلة جديدة.

هذا الليل الجميل له أثر في النفوس، وبه نكون في مواجهة الذات لا عالم بنا إلا الخالق، ونوقد لحظتها شموع الأحاسيس ونبعثر أوهام الذات، وفي كل لحظة لنا شوق ولهفة تجاه فكرة أو شيء أو أمل أو حتى الهروب من الألم.

نبحث عن فكرة ونكتبها، ونسعد عندما ترى النور، ونشعر بالسرور كلما أحسسنا بصدى وقوعها الجميل على نفوس البعض، علماً بأننا نتوارى خلف الكلمات، ولكن هل فعلاً نحن نختفي خلف الكلمات.... لا أتصور لأننا نكتب أنفسنا سواء أدركنا ذلك أم لم ندركه، فكل كلمة لها دلالة رمزية لما نحمله من فكر ومشاعر، لأن بناءات شخصيتنا تنساب من بين ثنايا الكلمات وبذلك نعطي ولو انطباعاً بسيطاً عن أنفسنا للآخرين.

جريدة الوطن، العدد 11041، السبت 21/10/2006

obeikandl.com

اختفاء المعنى الإنساني

في بدايات تطور الفكر الإنساني كان ينظر للإنسان على أنه جزء من الكون أو الطبيعة، وبذلك فهو مندمج تماما معها، مما يجعله يتأثر سلبا وإيجابا في كل تغير يحدث في إطارها سواء المنظور أم غير المنظور منها.

من هنا برزت فكرة تأثر الإنسان بحركة النجوم أو الكواكب أو أي تغير في الكون، وبذلك سلب معنى الوجود الإنساني الحق، وصودرت حريته وقدرته على تقرير مصيره وتحديد حياته مما جعله عرضة لفقدانه توازنه الفكري بل تعدى ذلك إلى ماهيته الإنسانية الصرفة.

وفي ثنايا هذه الأفكار نشأت أفكار أخرى كانت لها طابعها السياسي الذي أخضع الإنسان بدوره للسلطة وجعله أداة طيعة لتنفيذ رؤاها السياسية التي تتراوح بين الفردية والجماعية، باختلاف إيديولوجيا الحكم والمرجعية الثقافية التي يستند إليها النظام.

وخلال فترات لاحقة استطاع الإنسان أن ينتصر لوجوده وحقه في تقرير مصيره وتأكيد ذاتيته المتفردة والمنفصلة عن الكون والنجوم والكواكب، إلى أن انتزع حقوقه الإنسانية سواء السياسية منها أم الاقتصادية حتى صل إلى مستوى متطور جدا جعله يتمادى في مفهوم الفردية.

openkandil.com

اليـوم ومـن خـلال مـا نلاحظه من تطور تقـتني وتكنولوجـي عـاد اختفاء المعنى الإنساني المجرد وأصبح الإنسان جزءا من الواقع الذي فرضه هذا التطور، فمصيره أصبح محكوما بكل ما هو جديد، والآلة حدت من فكره ومـشـاعـره، وتوقف فكره بما تمليـه عليـه هذه الآلة، وهذا بالطبع ما نشأ عن حتمية التطور وضريبة التقدم وما شكّله من أعباء نفسية وفكرية على الإنسان.

جريدة الوطن، العدد 11046، الخميس 26/10/2006

obeikandl.com

الأدب نبض الحياة

جورج أمادو روائي برازيلي شهير ولد عام 1912 وتوفي عام 2001، صاحب أسلوب ساحر في الكتابة، عاش ما يكتب وكتب ما عشه وبذلك حقق المعنى الوجودي في الكتابة، حفر في أعماق حقول الكاكاو ليستنطقها ويبني أبطال رواياته منها، ترجمت أعماله إلى 48 لغة عالمية بسبب الروح التي تعبر عنها، وهذا للحقيقة ديدن أغلب كتاب أمريكا اللاتينية مثل ماركيز وكويلو وإيزابيل الليندي وغيرهم.

في كل عام كان يرشح للحصول على جائزة نوبل للسلام في الأدب ولكنه لم يكن يوفق، بسبب الجوائز التي حصل عليها التي وتحمل الصبغة الماركسية، منها بالطبع جائزة ستالين، لأنه بالأساس منتم ومرشح عن الحزب الشيوعي البرازيلي الذي تركه لاحقا، بعد تعرضه للنفي والغربة.

في مذكرات طفولته التي صدرت بعنوان (طفل من حقول الكاكاو) وترجمها محمد صوف وصدرت عام 2004 يقول أمادو (إن شخصيات الرواية مصدرها تلك الشخصيات الحقيقية التي تطبع الكاتب وتشكل جزءا من تجربته الذاتية) ص29، وعندما سئل لماذا تكتب؟! قال: أكتب حتى يقرأني الآخرون وأوثر فيهم وأساهم في إحداث التغيير في وطني.

بهذه الصورة الحية يرى أمادو قيمة الأدب وهدفه السامي، وأضيف هنا بأن الأدب يشكل نبض الحياة الاجتماعية، ومن خلاله نستشف روح المجتمع، فإذا كان الأدب رفيعاً وراقياً فهذا يعكس صورة المجتمع والعكس صحيح تماما، وكلما كان مقترناً بقيمة الإنسان وغاية حياته ووجوده كان ذلك أجدى لفهم الإنسان بصورة أفضل وأدق، لأننا هنا أمام أدوات قد تكون غير مباشرة نقيس من خلالها ما نريد، ومن أهمها المحتوى الثقافي والإنساني للمجتمع.

كنت أتمنى أن نرى أدبا جميلا وكتابات رائعة تجسد روح مجتمعنا وقيمه وثقافته، بعيدا عن الصور المشوهة التي تقدم من حين لآخر، وتحسب علينا بأنها أعمال أدبية، وقد أقول إن بعضها مزور من حيث الشكل والمحتوى أو مستنسخ وبذلك فهو بلا هوية.

جريدة الوطن، العدد 11051، الثلاثاء 31/10/2006

obeikandl.com

الهروب من الماضي

قبل عقود طويلة من الزمان حدث في الوسط العربي والإسلامي صراع فكري وثقافي كبير تمحور حول موقفنا من الماضي أو التراث على وجه التحديد، وكان التركيز على الأدب والفكر وبعض الجوانب الدينية، ولا شك أن الصراع أفرز فكراً وأطروحات جديدة، عكست حياة فكرية بكل ما تعنيه الكلمة، فهناك تيار يرى أن العودة للماضي مسألة لا بد منها للنهوض، والتيار الآخر يرى أنه لا تقدم ولا تطور دون ترك الماضي بكل ما فيه، ولا شك أن هناك تياراً وسطاً جمع بين هذا وذاك.

وقد كانت الصحف والمجلات مسرحاً لكل تلك التيارات ونقاشاتها، إلى أن توقفت حدة الطرح بسبب المشكلات التي أصبح يواجهها الإنسان في محيطه العربي والإسلامي، من أهمها بالطبع المشكلات السياسية وحركات التحرر.

بعد هذا الصراع حدثت النقلة النوعية في وسائل الاتصال والمواصلات، ليكون هناك انفتاح كبير على الآخر وأعني بذلك العالم الغربي، ومن جانب آخر حدث اختراق للثقافات المحلية لتصاب ببعض التصدع والتشوه في جزء من جوانبها، حتى أخذ التغلغل يزداد مع الأيام، لتصبح مسألة الماضي والتراث والقديم قضايا تمثل مسيرة فكر لا أكثر.

هذا التغير الذي حدث للنظرة المتوجهة نحو الماضي تم بصورة صامتة جدا، ودون وعي من البعض، لذلك لم تعد مسألة الماضي والتراث مقلقة، وإن كنت على الصعيد الشخصي أحمل حنيناً كبيراً للماضي، ولكن سرعة الحياة وتركز الفكر الإنساني على الفردية أفقد الروح نظرتها للماضي من حيث الأهمية أو الدلالة، وهذا ما نلاحظه في سلوك الشباب، فالنظرة للماضي لم تعد ذات قيمة كبيرة، فأصبحت اللحظة الآنية هي جوهر الارتباط في الوجود والحياة، حتى النظرة للمستقبل لا تحمل ذلك الهم والبعد الإنساني، فقط العيش وفق ما هو موجود، وكأنهم يهربون بذلك من الماضي.

جريدة الوطن، العدد 11070، الأحد 19/11/2006

obeikandl.com

الإنسان وضغوط الخارج

البحث في الوجود الإنساني أصبح مسألة مهمة في وقتنا الحاضر، لأسباب عديدة أهمها طغيان الآلة وتحجيم الإنسان ودخوله في متاهات الحياة المتسارعة، وبذلك فقدنا قيمة الإحساس الجميل في الحياة، و هذه ضريبة الحضارة التي لا بد من البحث عن كيفية التعامل معها لأن إيقاف عجلتها غير ممكن بل محال أن نقوم بذلك.

وفي هذا السياق نذكر أن هناك اتجاهات سيكولوجية ترى أن الإنسان يعيش حالة صراع بين ما يحمله في نفسه من رغبات وأفكار وغرائز وبين الواقع الذي يحد منها بالطبع أو يوجهها وفق معطياته الخاصة به من خلال الدين والقيم والأخلاق، وهنا يحدث إما الهروب من المواجهة وإما محاولة للتوافق بين الداخل والخارج.

وإذا كان هذا الصراع تقليديا في علم النفس أي الصراع بين ما يحمله الإنسان في نفسه وبين ما يعيشه، نجد الصورة أكثر خطورة وتمزقاً من ذي قبل في واقعنا الحياتي الحالي، والحديث هنا عن الإنسان بشكل مطلق وليس في مكان محدد، حيث نرى صراعاً كبيراً بين مكونات الواقع الحياتي ذاته، لأن هناك متناقضات كبيرة يعيشها الإنسان يومياً، على سبيل المثال هناك حديث عن حقوق الإنسان وبشكل متزايد وتصدر بسببه ومن أجله القوانين والنظم ومع ذلك نجد انتهاكات صارخة في أكثر من مكان، كذلك هناك مطالبات

بالديمقراطية وأنظمة عالمية تحمل هم الديمقراطية وفي ممارستها بعيدة كل البعد عنها، ونجد أيضا شكوى من الغلاء في الأسعار وضعف الرواتب وفي الوقت ذاته نجد نمطاً استهلاكياً كبيراً يكاد يميز نشاطنا الحياتي اليومي.

هذا التصارع والتضارب في واقع الإنسان كان له الأثر السلبي في حياته، فلم تعد هناك مصداقية وثقة، مما أوجد أفكاراً تتمحور حول المصلحة والمنفعة وعيش اللحظة في أوانها، وعدم الوثوق بما هو آت بسبب الصراع والإحباط الذي تولد نتيجة هذا الاضطراب والاختلاف بين ما نسمعه أو نقوله وبين صورة الواقع الحقيقي.

جريدة الوطن، العدد 11071، الاثنين 20/11/2006

obeikandl.com

الإنسان المتروك

موضوع الإنسان وحياته بصورة عامة يعد من المواضوعات التي شغلت العلماء والمفكرين على مر العصور في كل مجال واتجاه، سواء في مجال العلوم الطبيعية أم العلوم الإنسانية، في مجال الفكر والنفس صدرت كتب عدة تحمل في عنوانها الإنسان؛ منها على سبيل المثال (الإنسان الخطّاء) لبول ريكور، و(الإنسان المهدور) لمصطفى حجازي، و (الإنسان ذلك الكائن الفريد) لجون لويس، عدا من يطلق مسميات على أسماء أو أفكار بعينها كما قال فريدريك نيتشه عن الإنسان الخارق أو السوبرمان، أو إريك فروم عندما كتب عن الإنسان الجديد.

الشاعر الروسي (فلاديمير سيرغيتش سولوفيوف) (1853 ـ 1900) شاعر ومفكر له جهود وأبحاث في مجالات اللاهوت والعلوم والآداب والفلسفة، وهذا ما أتاح له العمل في جامعة موسكو وهو في العشرين من عمره، بل إن رسالته في الماجستير كانت كبيرة في المعنى والفكرة لأن عنوانها أزمة الفلسفة الغربية، وقد تناول الإنسان في أكثر من موضوع، ولكنه استخدم تعبيراً ذا أثر بليغ ومعنى مركز في وصف سلوك إنساني محدد، حيث أشار إلى مصطلح أطلق عليه الإنسان المتروك.

يقول سولوفيوف (الإنسان المتروك لشأنه لا يمكنه الحفاظ بطبيعته على حياته، ولا على كرامته الأخلاقية، كذلك فهو لا يستطيع أن ينجو بنفسه من الموت الجسدي أو الموت الروحي) وصف دقيق

وجميل وتحذير تحمله هذه العبارة المركزة، تجعلنا نقف عند علاقة الإنسان بالآخر الذي لا يستطيع ألا يكون اجتماعياً ومتعايشاً مع الآخر هذا جانب، والجانب الثاني يتضح من مدى الحرية التي تتاح للإنسان والفردية التي يتمتع بها، فمهما كانت عبقرية وقوة الإنسان فالخطأ وارد ولكن الخطأ الأكبر هو تركه لشأنه الذي قد يتحول إلى خطر على ذاته وغيره، لأنه فصل نفسه عن الآخرين والذين يحصل من تفاعلهم معه على معايير تحكم وتقيم سلوكه.

قد يخالف سولوفيوف رأي المدرسة الطبيعية في التربية أو تحديداً جان جاك روسو الذي يرى ترك الإنسان يتعلم من خلال احتكاكه بالطبيعة، ولكن قد تختلف زاوية الرؤية، ما أريد أن قوله إنه مهما كانت مساحة الحرية فيجب أن تكون لها أطر وحدود معينة، وألا نترك الإنسان لأن في ذلك خطر على نفسه وعلى مجتمعه ولو تأملنا فقط من حولنا لأدركنا ذلك وبصورة جلية.

جريدة الوطن، العدد 11172، الخميس 1/3/2007

obeikandl.com

سحر الكتابة

للكتابة سحر جميل وقلق لا ينتهي لدى من يملك مقومات الكتابة الصحيحة، وهنا يتميز كل كاتب عن آخر، فهناك من تحركه المصالح الذاتية أو الحزبية، وهناك من يحاول تسويق نفسه، وهناك من يحمل فكرا واتجاهات ما يحاول أن يطرحها، أو قد تكون عقداً وجروحاً نرجسية يعاني منها أو فقداناً للقيمة الذاتية.

سوف أستبعد في هذه المقالة كل فكرة حول الكتابة التي تتعلق بمصالح أو شهرة، سأتكلم عمن يكتب للمتعة وبدافع خفي يحقق له ذاته وشعوره إنه كاتب حر يحاول أن يقول ما لديه، أي الكتابة من أجل الكتابة، فكثيرا ما نقرأ في الصحف أو نسأل عن سبب اتجاهنا للكتابة، وبقدر إجابتنا يكون موقفنا من الكتابة.

قبل كل شيء لا يعني حديثي هذا رفض كل من يبحث عن شهرة أو مصلحة لأن هذا شأن خاص به، ولكن أردت أن أعبر عن رأي من يعشقون الكتابة لذاتها بعدها غاية لا وسيلة، ومتعة ذاتية قبل أن تكون كلاماً منشوراً يطلع عليه الآخرون، فلا يعرف هذه المسالة إلا من يحمل هم الكتابة ويدرك بوعي تام ما لديه من حصيلة ثقافية وخيال خصب ركب من خلاله أفكاره، وهنا تكون الكتابة وسيلة لتنظيم الفكر وإعادة للبناء وخلق أفق جديدة، وبذلك يندفع باتجاه التحصيل والتزود المعرفي، لأن الكاتب هنا يدرك جوانب القصور.

openkanar.com

أما الجانب الآخر للكتابة فهو تفريغ انفعالي لما يعاني منه الكاتب، فكما أسلفت هناك قلق يختمر في نفسه، وتوتر دائم يؤرقه وقد يجعله مضطربا ومشتت الذهن بسبب الضغوط، وعندما تخرج الكتابة يخف كل شيء وتتجدد الأفكار، وهنا تكون ملجأ وملاذاً له للتعبير، أيضا الكتابة اعتراف رسمي وتعبير صريح عن الذات مهما حاول المرء الاختفاء خلف أسوار الكلمات والأفكار، فشخصيته تظهر للعيان بوعي منه أو دون وعي، كذلك الكتابة مواجهة مع النفس والواقع والآخرين، فهل يستطيع أن يواجه كل هذه التحديات النفسية والفكرية بالدرجة الأولى؟!، آخر ما يمكن ذكره هنا رغم تعدد الأفكار، أن الكتابة الجادة رحلة طويلة، يمر بها الكاتب على شتى أنواع المواقف الإنسانية، لذا نجده يتأرجح بين الألم والأمل والحزن والفرح، وبقدر طاقته العقلية والنفسية تتحقق له متعة الإبحار والبحث وتحقيق الذات، وهذا أهم وسيلة نميز بها بين الكتاب.

جريدة الوطن، العدد 10544، السبت 11/6/2006

obeikandi.com

ثقافة الديمقراطية

عندما يتم طرح الديمقراطية وعدها نظاماً سياسياً واجتماعياً ينظم الحياة العامة للمجتمع، فإن ذلك يعني بطبيعة الحال وجود ثقافة ديمقراطية متفاعلة في المجتمع تمدها بالأفكار والقواعد السلوكية والتنظيمية التي تشكل مرجعاً عاماً للسلوك الفردي أو الجماعي.

تتضمن ثقافة الديمقراطية أيضا أساليب الحوار وطرق التفكير وإصدار الأحكام، بالإضافة لحرية النقد وفق آليات معينة لا تخرج ولا تؤثر في حرية الآخرين ومشاعرهم، لأن الديمقراطية لا تقوم إلا على الشراكة المجتمعية واستيعاب كل الاتجاهات والاختلافات في المجتمع الواحد وهذا يؤكد نبذ فكرة الإقصاء القسري.

وإذا كنا تكلمنا عن ثقافة الديمقراطية ومضمونها يبقى الأهم من الذي يصنعها ويرسي دعائمها ومن ثم يضمن وصولها لأفراد المجتمع كافة، لأن الديمقراطية إذا فقدت جوانبها الإجرائية تكون مجرد أفكار منفصلة عن السلوك الإنساني وبذلك تفقد أهميتها.

تأتي الأسرة والمدرسة في مقدمة المؤسسات المجتمعية التي تنطلق منها الثقافة الديمقراطية، ثم يأتي دور المؤسسات الأخرى التي يكون تأثيرها بحجم قوتها وطرحها، والإعلام بوسائله المختلفة أصبح الأكثر أثراً وعمقاً، بما يملكه من قدرة هائلة على الوصول للجميع في زمن سريع كما بإمكانه أن يرصد ردود الأفعال.

من هنا يمكن القول إن رسالة الإعلام مهمة، وتعلق عليها الدول آمالاً كبيرة في هذا الجانب، ولكن مع الأسف أصبح الإعلام في بعض الأحيان يقدم ثقافة ومعرفة بعيدة عن مفاهيم الديمقراطية الحقة، فعدا السطحية وضحالة الفكر التي نعذر صاحبهما، نجد هناك من يقدم مادة إعلامية تضرب في عمق مفاهيم الديمقراطية دون أدنى إحساس بالمسؤولية، ودون خوف من الله، وبسمعة أو اهتمام ومكانة الآخرين، فالديمقراطية ليست تعريضاً أو تجريحاً، وليست سباً وقذفاً وتطاولاً بالحق والباطل، ولكنها قواعد سلوكية وقيم راقية، وهذا مع الأسف ما يغيب عن بعض كتّابنا الذين أغوتهم أنفسهم فلنتقِ الله ونخشَ سخطه وغضبه، وخاسر حقاً من غضب الله عليه.

جريدة الوطن، العدد 10557، الجمعة 24/6/2005

obeikandl.com

العيش في الظلال

ونستون تشرشل شخصية عالمية كان لها دورها السياسي في القرن العشرين، لمكانته السياسية وعيشه في ظروف أعطته اسماً ومكانة قد لا ينازعه عليها أحد في بريطانيا في تلك الفترة خصوصا فترة الحرب العالمية الثانية.

راندلوف تشرشل ابن الزعيم السياسي الشهير وصاحب الحضور الإعلامي الكبير في فترة القرن العشرين، كان يعمل في فترة الستينيات في صحيفة (نيوز أوف ذا وورلد) الشهيرة بمادتها الإعلامية التي تركز على الفضائح والإثارة، وهذا لا يتناسب بالطبع مع مكانة واسم تشرشل الكبير.

عندما سأله أحد الصحفيين ذات يوم لماذا يعمل في هذه الصحيفة، وعد هذا مفارقة غريبة على أسرة تشرشل، رد راندلوف بسخرية: إنهم في عائلة تشرشل يعرفون قاعدة عامة بينهم حيث هناك جيل عظيم وجيل لا يحقق شيئاً قريباً من عظمة أسلافه.

لو تتبعنا سير المشاهير منذ الأزل لوجدنا الصورة مقاربة تماما، فتجد منهم من يعيش في النور والشهرة وشمس المعرفة أو السياسية أو الأدب أو أي مجال آخر، ومنهم من يفضل العيش في الظلال، بعيدا عن كل شيء، وإن كان بعضهم يحلم أن يلعب الدور الذي لعبه من قبله، ولكنه لا يملك الإمكانات المناسبة، أو أن الظروف لا تساعده في تحقيق ذلك.

بتصوري أنها مسألة بسيطة وهذه من طبيعة البشر، فلكل إنسان شخصيته وحضوره وتأثيره وظروفه الخاصة التي منحته هذه المكانة، ولكن الأهم على الإطلاق الوعي بهذا الجانب، وعدم فرض الذات على الآخرين في أي مجال، فنجاح فرد من الأسرة في مجال معين لا يعني نجاح الآخرين، وهذا تأكيدٌ لخصوصية الإنسان وليس بها أي نقيصة، ولكن الخطأ عندما يتم فرض النفس أو الشخص بديلاً عن غيره، لذا فالعيش في الظلال أرحم من لهيب الشهرة والمكانة الزائفة.

جريدة الوطن، العدد 10563، الخميس 30/6/2005

obeikandl.com

حرية الكتابة والتعبير

ديفيد تسايلر جاسوس بريطاني يعمل في جهاز الأمن الوطني البريطاني، وصل إلى فرنسا عام 1997 ثم سرب معلومات مهمة للسلطات هناك، مما يعد خيانة عظمى من قبله تجاه وطنه، وهذه جريمة تعاقب عليها قوانين كل الدول، قدم تسايلر معلومات حساسة خاصة بجهاز الأمن الوطني الداخلي والخارجي، منها محاولة اغتيال الرئيس الليبي معمر القذافي بالاتفاق مع عناصر ليبية معارضة.

حاولت بريطانيا طلبه رسمياً من فرنسا، إلا أن المحكمة الفرنسية رفضت، لأن تسايلر طرح وجهة نظر عدتها المحكمة حجة له وليست عليه، لأنه عد تسريبه للمعلومات خدمة وطنية، وأن جهاز الأمن الوطني بشقيه الداخلي والخارجي يهدران المال العام وينفقانه في أعمال غير مشروعة وهذا كله على حساب المواطن البريطاني.

إذن كتابة المعلومات أو تسريبها أحياناً تقع ما بين الحق والباطل، فقد تكون لها وجهة نظر جيدة من جانب وعكسها تماما من جانب آخر، قد تكون قضية تسايلر حادثة فريدة وغير مكررة، وقد تكون أيضا ذريعة لخيانة من قبله، ولكن يجب أن تكون هناك دائما حدود لكل ما يكتب أو يقال، ويجب أن يكون هناك وعي كبير بأثر ما يمكن أن نقوله أو نعلق عليه، من أهمها بالطبع ما يتعلق بمصالح الدولة وعلاقاتها السياسية ومكانتها.

الجانب الآخر والأكثر ألما الخوض في المشاكلات الأسرية أو ما يتعلق بالجرائم، حيث نجد هناك من يكتب ويسرب معلومات أو يفضح أشياء أمرنا الله بسترها، ولكن من باب السبق الصحفي والشهرة يكتب عنها، وهل مكانة وسمعة الناس بهذا الرخص؟ ألا يخشون أن يصيبهم ما أصاب الآخرين؟ وهل قدرتهم على الكتابة تعطيهم هذا الحق؟ ليتنا نراجع أنفسنا قبل أن نخط المقالات ونكتبها ونقدم المعلومات حتى لا نؤذي الوطن أو المواطنين.

جريدة الوطن، العدد 10571، الجمعة 8/7/2005

obeikandl.com

الإحساس بالزمن

يقول أبو صخر الهذلي في رائيته الشهيرة:

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها

ولما انقضى ما بيننا سكن الدهر

تصوير جميل يعبر عن إحساس الإنسان بالزمن، فنحن في هذه الحياة نعيش بحسب عمر زمني قدره الله تعالى، ومن خلاله تتجسد علاقتنا بالوجود وكل ما يحويه، ونمر بلحظات فرح وحزن وألم تبعاً لظروفنا التي نعيشها، ونختلف نحن البشر بإحساسنا بالزمن، فهناك من يشعر به دائماً ويحسب حسابه لذلك فهو دائم التفكير به، ويجعل مسيرة حياته وفق فهمه للزمن ويشكل يومه بما يحتاجه ويراه، وبذلك فشعوره بسرعة الزمن حاضر في ذهنه يحركه ويدفعه للحياة بفهمه الخاص، وسوف ينعكس ذلك على نظرته للحياة بين التفاؤل والتشاؤم حسب خبراته النفسية والعقلية.

من جانب آخر نجد هناك من لا يشعر بالزمن وسرعته، فيعيش حالة ركود وطمأنينة وعندما يكتشف ذلك يصاب بصدمة قلق الوجود، الذي ينشأ عن الإحساس المتأخر بالزمن ومن ثم يحاول أن يتفهم واقعه ويسيطر على مجريات حياته، وقد ينجح في ذلك ويستعيد

obeikandl.com

قدرته الذهنية والنفسية التي ضاعت بسبب قلق الاكتشاف المتأخر، قد يفشل لأن صحوته جاءت متأخرة، لذا فمظاهر القلق وعدم التوافق تظهر على سلوكه اليومي أو حتى من خلال منطلقاته الفكرية.

إذا كنا نريد أن نشعر بالوجود لا بد وأن نكتشف الزمن باكرا ونحاول أن نشكل لنا فهماً خاصاً به وعلاقة وثيقة تقوم على إدراكنا لرحلة العمر التي نعيشها، وإنها مهما طالت فهي قصيرة، وعلينا أن نتكيف مع كل مرحلة نمر بها بعيداً عن الإحساس الغامض بأننا نريد البقاء في بعض المراحل العمرية، فلا دائم إلا الله سبحانه وتعالى.

جريدة الوطن، العدد 10594، الأحد 31/7/2005

obeikandl.com

زمن ليسنكو

تاريخ الاتحاد السوفييتي زاخر بالأحداث خصوصا إبان الحكم الشيوعي الذي بدأ عام 1917م بثورته البلشفية، في ذلك الوقت عانى الشعب المر وعانى المفكرون والعلماء الأمرين، وأمام تصفية العلماء والمفكرين وإقصائهم، يتم تعيين أناس غير جديرين بتسيير الأمور الفكرية والثقافية.

من الأسماء التي اشتهرت وأخذت صدى كبيراً ومكانة علمية بارزة فلاح متعلم يدعى تيوفيم دونيسوفيتش ليسنكو، الذي ولد عام 1898 في أوكرانيا، استطاع بما يملك من ذكاء وفطنة ودهاء أن يصل إلى مراتب علمية ووظيفية كبيرة وهو غير جدير بها، ففي عام 1929 ادعى أنه يستطيع أن يجعل الحبوب التي تزرع في الشتاء تزرع في الربيع، وكان الاتحاد السوفييتي يبني آمالاً كبيرة على هذا المشروع نظراً للظروف التي يمر بها آنذاك.

استغل ليسنكو علاقته بستالين وأخذ يصعد نجمه حتى كاد أن يكون الأوحد في مجال علم الوراثة بسبب التصفيات التي قام بها ستالين، ليكون المجال له ينظر ويكتب ويحلل ويهاجم كيف شاء ومتى شاء ومن يشاء، بل إن تماثيله بدأت تشاهد في بعض الأماكن، وأصبحت أفكاره تفرض حتى على طلبة المدارس، واستمر على حاله

إلى أن جاء عهد خرتشوف الذي سمح بنقد نظرياته وأفكاره، ليفقد بريقه شيئاً فشيئاً إلى أن كان عام 1965 عندما أقيل من عمله، لينعزل في مزرعته إلى أن توفي عام 1976م.

ما قام به ليسنكو جريمة كبيرة لأنه زور وكذب في المعلومات، واستغل قربه من السلطات ليصول ويجول مما أثر في مصداقية علم الوراثة في زمنه، بل إنه أضر علماء الاتحاد السوفييتي الذين كان وطنهم بحاجة ماسة لهم، ولكن طغيان السلطات يؤدي أحياناً إلى طغيان الفكر وهذا ساعد بلا شك ليسنكو.

زمن ليسنكو قد يتوارى ولكن لا ينتهي، فكثيراً ما نجد هناك من تساعدهم الظروف لأن يتولوا سدة الفكر والرأي والعلم، معتقدين أن شمس الحقيقة لا تشرق، وهذا خطأ ما بعده خطأ فالفكر والرأي طبيعة إنسانية لا تغيب حتى وإن غيبت، وزمن ليسنكو قصير مهما طال.

جريدة الوطن، العدد 10628، السبت 3/9/2005

obeikandl.com

الآميش

الآميش قبيلة أو جماعات هاجرت من أوروبا ومن ألمانيا تحديداً بسبب الاضطهاد الديني، لأنهم مسيحيون بروتستانت من أتباع كالفن ومارتن لوثر، وقد استقروا في بنسلفانيا في الولايات المتحدة في القرن الثامن عشر، بقيادة جاكوب آمان.

هؤلاء لا زالوا يعيشون وفق أسلوب بدائي يعود للقرون الوسطى، فهم يرفضون الحضارة المعاصرة بأشكالها كافة، وبذلك لا يتعاملون مع المخترعات الحديثة والأجهزة والمعدات الكهربائية، لذا تجدهم يمارسون حياتهم بشكل بسيط، بل إنهم يحافظون على القيم نفسها أي التي كانت سائدة والتي عاشها أسلافهم، وبطبيعتهم مسالمين، ويتقبلون كل شيء إلا تصويرهم.

حياتهم تميل للرتابة كذلك يرفضون التغيير، وبذلك يعدهم بعض المهتمين متحفاً طبيعياً يزورونه، ولا يريدون شيئاً من المجتمع الأمريكي سوى تركهم في حال سبيلهم دون تعكير لصفو حياتهم، لذلك يطلق عليهم الجماعة المحنطة، أو التي تعيش على هامش الحياة، أو خارج التاريخ كما تشير بعض الكتابات.

قد يكون من الصعب تصور جماعة تحتفظ بكل تراثها بهذا الشكل، ولكن هذا الواقع بالنسبة للآميش، ولكن في حياتنا أناس يرفضون التغير والمستجدات الفكرية والاجتماعية بل والسياسية، يريدون

مجتمعاً مغلقاً يخصهم وحدهم، ومن جانب آخر إقصاء واضح ومقصود لكل من يختلف معهم، وإذا كان الآميش يرفضون المجتمع المعاصر، فإننا نجد هناك من يريد هذا المجتمع ولكن وفق رؤاه الخاصة، وبشكل انتقائي، وتكون وجهات نظرهم أقرب للعدوانية منها للمسالمة التي يمارسها الآميش.

إن العيش بأفكار محنطة والنظرة التشطيرية للمجتمع عفى عليها الزمن، ويجب أن تتسع الرؤية والنظر للحياة وللوطن من خلال مفاهيم أكثر عمومية وواقعية، لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال الاستمرار بتطبيق أفكار يرفضها الواقع والمنطق بل والمصلحة.

جريدة الوطن، العدد 10645، الثلاثاء 20/9/2005

obeikandl.com

الأقارب

موريس جيغومند روائي مجري، من أشهر أعماله رواية الأقارب، التي رصد من خلالها أهم التغيرات التي طرأت على بنية مجتمعه في القرن العشرين، حيث بدأت الطبقة الوسطى بالاضمحلال بفعل تغيرات سياسة واقتصادية واجتماعية، وهذا ما جعل كثيراً من الأُسر تعلن إفلاسها وتقوم ببيع ممتلكاتها كالقصور ومقتنياتها والمزارع والمحلات التجارية.

بطل الرواية (اشتيفان) شخص عادي وبسيط من عامة الشعب، يتم اختياره نائباً عاماً عن مقاطعته لتوجهات تخدم المحافظ وحاشيته، دون علم من النائب الجديد، لذا يحاولون دعوته ودمجه في مجتمعهم مع عرض فكرة شراء منزل كبير يليق به وبمكانته الرفيعة، وهذا كله من أجل الإيقاع به وتوريطه.

من جانب آخر بدأ مجموعة من الأفراد يظهرون في حياته فجأة، كلهم يدعون قرابته، من جهة الأب أو جهة الأم، وجميعهم لديهم مطالب مادية وحياتية، يحاول أن يحلها بعيدا عن سلطته الجديدة، ولكن الواقع كان أكبر منه، وفكرة الإصلاح والعمل ليست بالسهولة التي كان يفترضها، إلى أن تتعقد الأمور، ويكتشف خبايا المنصب ومن له صلة به، ليشعر بالضيق الشديد وتنتهي حياته بالانتحار.

obeikandl.com

من يقرأ الرواية لا بد وأن يتوقف عند مسألة مهمة في حياتنا، تتعلق بأقارب أصحاب المناصب والوظائف الكبيرة، فهناك من يعتقد أن كل شيء ملك لهم، وأنه من حقهم أن يسخر نفسه ومنصبه من أجلهم، ليس من الزاوية الوطنية ولكن من الناحية الأسرية والشخصية.

هذه الصورة تحتم إيجاد وعي وطني كبير، وتأصيل فكرة الدولة وفصلها عن الأسرة والأقارب والشخصية، وهذا بالطبع لا يعني أن يخسر الأقارب فرص عمل وحياة لأن قريبهم له منصب، ولكن يجب أن يكون هناك مفهوم واضح للعدالة الاجتماعية، ينطبق على الجميع ومنهم الأقارب.

جريدة الوطن، العدد 10648، الجمعة 23/9/2005

obeikandl.com

ثقافة الموت

البيئة الثقافية هي الحاضنة لكل الأفكار التي تسود المجتمع، بل تشكل رحماً خاصاً تغذيها وتمدها بالنماء، وكلما ارتقت هذه البيئة وأصبحت غنية بمعطياتها شكل ذلك زخماً من القيم الإيجابية التي بدورها تحدد سلوك الأفراد، وتشكل أيضا مرجعية يحكمون من خلالها على ما يصدر عنهم من سلوك ظاهرياً أم باطنياً كان، ففي الحرب مثلا سواء أكانت حاصلة فعلاً أم استنزافية أم حتى باردة، نجد أن هناك ثقافة تقود كل التوجهات القيمية والسلوكية، وهذه مسألة طبيعية لأنها تشكل استجابة لواقع فرضته الحرب على الإنسان، وفي حالات السلم يجب أن تسود القيم التي تقدر الحياة والإنسان، وكل ما من شأنه أن يرفع من قيمة الإنسانية.

ولكن ماذا عن ثقافة الموت؟ ومن الذي يدعمها ويشكلها؟ فإذا كانت حالات الحروب تجعل الموت حالة حتمية، فماذا عن حالات السلم أو الحالات التي نفترض أنها حالات صراع حتى وإن كانت غير ذلك، هذه الثقافة التي تروج للموت حتى إن كان عبثياً ثقافة أثرت سلباً في حياتنا، وساعد الإعلام العربي في بعض صوره ومحطاته على تثبيت هذه الثقافة ونشر مثل هذه الأفكار، فعندما يموت أناس عزل من السلاح لا ناقة لهم ولا جمل في أي صراع نجد أن هناك من يقفز ويطرب فرحاً، وعندما تنسف المباني المدنية هناك من يصرح ويرفع

عقيرته ليمجد من قام بهذه الأعمال، وعندما يقتل إنسان نفسه بحجة الانتحار والتضحية هناك من يجعله شهيداً ويدخله الجنة، متناسياً أن كلمة شهيد كبيرة، ودخول في علم الله، وكأنه يشهد مع الله والملائكة أن فلاناً في الجنة.

هنا خلطوا بين الجهاد والانتحار وقتل الأبرياء وترويع الآمنين، شيء مؤسف ومؤلم ما نسمعه ونراه، من التثبيت المتعمد لثقافة الموت، فبه هدم للإنسان وقيمه السامية، وبه تشجيع على الغلو والتطرف، الذي يؤدي إلى الإرهاب، والضحية هم دائما الأبرياء، فمتى تتوقف سموم ثقافة الموت، حتى لا تجرنا إلى نتائج لا يحمد عقباها.

جريدة الوطن، العدد 9977، الجمعة 14/11/2003

obeikandl.com

عالم متوتر

هناك شعور عام يسود الغالبية من سكان العالم حول المستقبل، سواء على مستوى التطلعات والآمال الفردية أم على مستوى الدولة، في كل منطقة هناك توتر، قد تكون قضية فلسطين الآن القضية المركزية التي تقترب الخلافات منها بصور متفاوتة.

قد يكون من الصعب الحديث بصورة قطعية عن هذه الحالة سواء بالوصف أم بالتحليل، ولكن بالإمكان وضع تصور يصف هذه الحالة التي تتسم بالقلق والتوتر، أهم نقطة أن العالم الآن في حالة مخاض عسيرة، لأنه سوف تتشكل بعد هذه الحالة أنماط فكرية وسياسية، وكأن الله أراد بقدرته أن يجعلنا نفرق فعلاً بين القرن الحالي والقرن الماضي.

فلو تأملنا دخولنا لهذا القرن نجد أنه غريب جداً فالإنسان خلال العقد الماضي كان يعيش حالتين غريبتين، الأولى تتمثل بإيقاع السرعة الذي ساد نمط الحياة والمعيشة، فكل شيء أصبح يتغير بسرعة، وكل يوم اختراع جديد، ودعم هذه الحالة الفكرية والنفسية وسائل الإعلام التي أصبحت تسيطر وبشكل كبير على تشكيل الاتجاهات والقيم، خصوصا أجهزة التلفزة التي تحكمت ليس فقط بالقيم والاتجاهات ولكن في الذوق وطريقة المعيشة والاستهلاك وهذا كله يجعل الإنسان لا يشعر بقيمة الزمن إلا عندما يقطع شوطا كبيرا وفجأة يكتشف حالته هذه.

الحالة الثانية تتمثل في الدخول المريب والصامت للقرن الجديد بسبب الأثر الواضح للمعلومات والإنترنت، فهذه الحالة أفرزت حالات نفسية منعزلة وصامتة تتعامل مع العالم بسكون قاتل، وقد لا نشعر بها بصورة كبيرة ولكن الحديث هنا حول الإنسان في العالم على وجه العموم.

أمام هاتين الحالتين، وقعت أحداث سبتمبر، لتتوقف حركة السرعة وكأنها تضع العصا في العجلة، ولتخرج الإنسان من صمته وانعزاله ولتثبت الاتصال العضوي بين المجتمعات في وقت يعتقد بعضهم أن هناك انفصالاً بين المجتمعات، الجانب الآخر لهذه الأحداث أنها أفرزت أحداثاً أخرى مثل التغير الواضح في مفاهيم الحرية والديمقراطية بالنسبة للولايات المتحدة، والبحث عن الفاعلين واجتثاث الإرهاب (حسب زعمهم) ثم حرب بين أقوى دولة في العالم وأفقر دولة في العالم (أمريكا وأفغانستان) والنتيجة لم تكن واضحة تماما، فقط غياب طالبان عن السلطة والمسرح السياسي، ويستمر مسلسل الأحداث حتى يمارس شارون هوايته المفضلة في التدمير والقتل ليضع العالم في مأزق آخر، فالدول الغربية التي تتكلم عن حقوق الإنسان، وتندد بأي محاولة قمعية حتى لو كانت فردية في دول العالم الثالث، تجد الآن الدولة التي رعتها شبت عن الطوق وأخذت تقتل وتفتك دون رادع، وفي قرارة نفسها مازالت تتذكر أحداث سبتمبر وصورة الإرهاب، العالم العربي ممزق نفسياً وفكرياً، فالمواقف الرسمية تتكلم عن شيء والتطبيق العملي شيء آخر، شعوب تندد هنا

وتتظاهر هناك وتدمر مقدراتها ومازال الوضع كما هو في كل مكان، هذا عدا حالات الصراعات والانتكاسات التي تعيشها بعض دول أمريكا اللاتينية وأفريقيا.

هذه لمحة سريعة وخاطفة عن الوضع، والذي يعبر عن حالة مخاض متعسرة ستفرز أنماطاً فكرية وسياسية ونفسية جديدة، ومن الطبيعي أن نشعر بالقلق والتوتر على المستقبل إلى أن تهدأ الأمور وتتشكل المواقف من جديد، فعملية هدم القيم والأفكار قد يكون من السهل أحياناً اهتزازها وتدميرها ولكن إعادة تشكيلها تحتاج لفترات أطول.

جريدة الوطن، العدد 9411، الخميس، 25/4/2002

obeikandl.com

obeikandl.com

تجاهل وتهميش

محمد طلعت حرب (1867 ـ 1941) رجل ومفكر اقتصادي مصري، يرجع له الفضل في كثير من الأعمال الاقتصادية منها بالطبع إنشاء بنك مصر، كان يعمل بكل جد واجتهاد، وإلى جانب ذلك يقول عنه خير الدين الزركلي في الإعلام جزء 6 ص (175): إنه بالإضافة للجانب الاقتصادي كاتب وباحث، له مؤلفات ورسائل علمية كثيرة، مثل تربية المرأة والحجاب وتاريخ دول العرب والإسلام وترجم عن الفرنسية بعض الكتب، ثم يعلق الزركلي (لم تحسن مكافأته في أواخر أيامه).

في هذا السياق يقول مصطفى أمين في زاويته (فكرة): قبل الثورة استغنت الحكومة المصرية عن طلعت حرب وأرغمته على الاستقالة وطلبت منه أن يبقى في بيته وألاّ يذهب إلى مكتبه، وذهبت يومها إلى طلعت حرب في بيته فوجدته كسيراً حزيناً مهزوماً يشعر بأن حكومة بلاده أهانته بلا جريمة ارتكبها وعاقبته بغير ذنب اقترفه، وقلت يومها (والكلام لمصطفى أمين) تأكد أن التاريخ سوف ينصفك ويعيد لك اعتبارك، فهز طلعت حرب رأسه يائساً وردد كلمة شوقي (نحن في بلد كل شيء فيه ينسى بعد حين) ولكن الشعب لم ينس بل أقام له تمثالاً في ميدان من أكبر ميادينه ونسي الشعب الذين دفنوا البطل المصري وهو على قيد الحياة.

حالة طلعت حرب لا تختلف عن كثير من حالات التهميش والتجاهل التي تتم بحق أصحاب الفكر والمخلصين في العمل، وإعادة الاعتبار دائما تتم بعد الوفاة أو عندما تذبل أزهار العمر، وحينها قد لا ينفع ذلك، ولكنه على أقل تقدير أفضل من التجاهل وإنكار الدور الذي قام به الفرد.

ولكن المشكلة تكمن عندما يُهمش أصحاب الفكر والرأي ويتسيد الموقف ممن لا يملك فكاًر ولا ثقافة فقط، بل وسلطة حزبية وسطوة اجتماعية.

جريدة الوطن، العدد 11054، الجمعة 3/11/2006

obeikandl.com